سلسلة العلوم الاجتماعية

ل.م. دروبيشيفا

السوسيولوجيا والتاريخ

ترجمة: د. علي نمر دياب



السُوسيولوجيا وَالتَاريخ

هذه ترجمة كتاب

L. M. Drobishewa

GESCHICHTE UND SOZIOLOGIE

VEB Deutscher Verlag der Wissenschaften
Berlin 1974

ل.م. درويبيشيفا

السُوسيولوجيَا وَالتَّاريخ

تَرجَمَة: د. عَلي نصر ديَاب



دار الحداثة
للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
لبنان - بيروت - ص.ب ١٤/٥٦٣٦

الطبعة الاولى ١٩٨١



مقدمة

منذ عشر سنوات ثار نقاش حول امكانية ان يكــون الحاضر موضوعا للبحث ، وحسمت الحياة فيما بعد هذا الجدل .

ان تعميق الاسس العلمية للتنبؤ المستقبلي ولقيــادة العمليات الاجتماعية يفرضان الحاجة لابحاث تعكس الواقع بشكل حقيقي وتفهم دينامية العمليات والظواهر .

لقد نما الاهتمــام بالبحث العلمي لظواهــر الحاضر الاجتماعية مع بروز مثل هــذه الظروف الاجتماعيــة والسياسية في البلاد والتي تنسجم بشكل متزايد مــع متطلبات البناء الشيوعي .

واستطاعت هذه الظروف أن تيسّر راهنية علم التاريخ وتحث علــى الاهتمام بالسوسيولوجيــا والابحــاث

السوسيولوجية العيانية .

ان بعث روح الشباب : في موضوع البحث التاريخي، وكذلك في تطور السوسيولوجيا يعود لتشابه نشأتيهما الموضوعية . فالتاريخ والسوسيولوجيا علمان متقاربان ، يحدد موضوعهما المشترك في البحث قرب علاقتهما ، والتاريخ علم قديم متميز في مجال موضوعه وبنهج معرفته الناضج ، يبحث في عمليات تمت في المجتمع منذ القدم وحتى يومنا هذا . وتهدف الابحاث التاريخية لتوضيح قانونية وآلية عمل واتجاهات تطور المجتمع .

لا يكتفي علم التاريخ الماركسي بالوصف البسيط لمظاهر وسلوكيات الانسان وحسب ، بل يبحث ايضا في القوانين العامة مؤكدا العلاقة الدائمة في تطور أشكال الظواهر التاريخية .

والسوسيولوجيا على العكس من ذلك لا زالت علما حديث العهد نسبيا .

ان مؤسسي الماركسية ـ اللينينية هم مبدعي السوسيولوجيا الحقيقية . ففي مؤلفات ماركس ، انجلس ولينين وجدت النظرية السوسيولوجية تطبيقاتها اللامعة في تحليل الظواهر والعمليات العيانية .

بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية الكبرى ، برزت مهام جديدة امام السوسيولوجيا الماركسية ، وتم بناء الاشتراكية والشيوعية وفق عملية موجهة ممنهجة واعية . وانجاز مثل هذا البناء بنجاح ، يتوقف دوما على توفر المعلومات حول

العمليات الموضوعية التي تشكل اساس القرارات الحاسمة. لذلك لم يكن صدفة ان يؤكد لينين في ايار ١٩١٨، في مشروع قرار لمجلس قومساريات الشعب، على ان الاكاديمية الاشتراكية للعلوم الاجتماعية مهمة آنية تفرض نفسها وتنظم كذلك الابحاث الاجتماعية.

تمت سلسلة من الابحاث السوسيولوجية في الاتحاد السوفياتي في العشرينات وفي بداية الثلاثينات، ونظمت هذه الابحاث بمبادرة من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي، واجهزة الدولة والحزب في المنطقة المعنية. ووجدت نتائج هذه الابحاث تطبيقاتها في توجيه العمليات الاجتماعية، وطريقها للنشر في كثير من المقالات والكتب.

في النصف الثاني للخمسينات برز الاهتمام من جديد في الابحاث السوسيولوجية، وادى تطور هذه الابحاث لتغيرات في اشكالية ومناهج السوسيولوجيا، كما أثار نقاشات حول بنية السوسيولوجيا الماركسية وموضوعها ومكانتها بين العلوم الاجتماعية.

ان الانفتاح الواسع للابحاث السوسيولوجية ـ العيانية والذي تم بموازاة تلك النقاشات، قاد الى تطور السوسيولوجيا كعلم من خلال تطبيق نتائجه في الممارسة، وحدد بعدها موضوع السوسيولوجيا بدقة اكثر، واتمت منهجية وتقنية الابحاث السوسيولوجية.

وفي مجرى النقاشات حول موضوع وبنية

السوسيولوجيا الماركسية تبلورت ثلاث وجهات نظر :

اولا : السوسيولوجيا متطابقة مع المادية التاريخية . فالبحث السوسيولوجي ـ العياني للظواهر الاجتماعية يقدم مادة التجربة للنظرية .

ثانيا : المادية التاريخية هي السوسيولوجيا النظرية . انها علم المنهج للابحاث السوسيولوجية العيانية والتي تشكل بدورها علما مستقلا .

ثالثا : السوسيولوجيا علم مستقل متضمن في المادية التاريخية كنظرية سوسيولوجية شاملة .

أما نظريات السوسيولوجيا الخاصة والتي تحلل مكانة عناصر البيئة الاجتماعية التفصيلية (المدينة ، القرية ، العائلة الخ ..) ومهام هذه العناصر الخاصة ، فتلعب دورا منهجيا مباشرا في الابحاث السوسيولوجية الاجتماعية العيانية .

لقد بيّن النقاش وحدة المفهوم حول اولا : لا يمكن فصل الابحاث السوسيولوجية العيانية عن المجادلة التاريخية وثانيا : لن تكون السوسيولوجيا العيانية علما مستقلا على اساس تجريبي فقط (بدون نظرية) ...

يحدد أ.م رومانسيف Romanzew و ج.ف. اسيبوف Ossipow بنية السوسيولوجيا الماركسية كما يلي :

«السوسيولوجيا تدرس المجتمع كنظام مغلق ومنتظم ، له علاقاته الاجتماعية ذات التأثير المتبادل ، وتوجهاته ومجموعاته الاجتماعية ذلك يعني: بنية المجتمع الاجتماعية».

وخصوصية السوسيولوجيا التي تميزها عن غيرها من العلوم الاجتماعية ، في انها تبحث الظواهر والنظم الاجتماعية من وجهة نظر تأثيرها في العلاقات الاجتماعية وفي تطور وعي الانسان وسلوكه» .

ويميزان اربعة مستويات في السوسيولوجيا :

١ ـ النظرية السوسيولوجية العامة ذلك يعني : ان المادية التاريخية تبحث في أعم قوانين نشوء ، تطور وانحلال التشكيلات الاجتماعية اي : قوانين تطور المجتمع العامة .

٢ ـ نظرية البنية الاجتماعية للمجتمع . وبهذا المستوى تبحث قوانين آلية عمل الانظمة الاجتماعية والهيئات المختلفة وتأثيراتها المتبادلة في اطار بنية اجتماعية محددة .

٣ ـ نظرية الانظمة الاجتماعية المختلفة والتي تهتم بالقوانين الخاصة لاسلوب عمل جوانب معينة من الحياة الاجتماعية ومظاهرها . (على سبيل المثال سوسيولوجيا العائلة ، سوسيولوجيا العمل ... ، المدينة ، القرية) .

٤ ـ في المستوى التجريبي تبحث الوقائع الاجتماعية وتصنف بعدها بشكل علمي .

عندما تخضع ظاهرة اجتماعية في السوسيولوجيا للتحليل ، نعني توضيحها على كافة المستويات من حيث العلاقات الاجتماعية ، مكانة الظاهرة في نظام من الترابط ودورها في عمل الهيئة الاجتماعية . ويعتبر تحليل البيئة الاجتماعية اهم موضوع بحث أمام السوسيولوجيا . لذلك

لا يؤخذ المجتمع ككل بل ينظر اليه كطبقات عيانية وفئات وجماعات ، ويكشف النقاب عن ميزات ، طابع واسلوب التأثير المتبادل بينها . فالجماعة الاجتماعية لا توحد الناس ذوي الوضع المتشابه فقط ، بل تقوم على المصالح المشتركة ايضا . وتصبح مهمة السوسيولوجي ، دراسة مصالح الجماعات الاجتماعية المختلفة بتأثيراتها المتبادلة . وهكذا تدخل حياة الناس وطريقة تفكيرهم مجال بحث السوسيولوجيين .

تتخذ البنية الاجتماعية دوما وضعا ما ، يعرّفه السوسيولوجيون بالحالة الاجتماعية . وتصبح هذه الحالة العيانية موضوعا لبحث السوسيولوجيين بما تتضمنه من «علاقات حياتية مميزة» و«ارادة عامة» للجماعات الانسانية التي تقوم عندنا (الاتحاد السوفياتي ـ المترجم) على خطة موحدة وحافز كبير ، هو التحويل الشيوعي للواقع الاجتماعي .

تعتبر العلاقات المتبادلة بين المجتمع والشخصية مسألة مركزية في سوسيولوجيا العمل ، الثقافة والعائلة وكذلك في سوسيولوجيا الاتصالات بين الجماهير والعلاقات القومية .

عندما ينطلق الانسان من موضوع السوسيولوجيا كما يراه العلماء اليوم ، لن يجد صعوبة في تأكيد الكثير مما هو مشترك بين السوسيولوجيا والتاريخ . فمجال العلوم الاجتماعية يمكن تصوره ـ مع بعض التحفظ ـ بغلاف ذي

قشور ، تحتوي قشرته الخارجية جزءا مميزا ومركزيا يتوافق مع موضوع بحث السوسيولوجيا، وتشمل القشرات الاعمق مجال بحث مشترك بين التاريخ والسوسيولوجيا . ذلك هو التطور التاريخي للبنى والعلاقات الاجتماعية اي : مجال السوسيولوجيا والتاريخ .

يعتبر التأثير المتبادل للعلوم احد مزايا عصرنا ، ولا يعبر عنه بالدور المتزايد الذي تلعبه ملاحظات الاثنوغرافيين Ethnographen والقانونيين الاقتصاديين ، السوسيولوجيين ، الديمغرافيين (علماء السكان) وحسب ، بل ينطبق ايضا على نهج الاحصائيين والكوبيرنيتكيين Kypernitiket . وفي مداخلات ب. ن فيدوسييف و ج. ب. فراسوف لمختارات «السوسيولوجيا والتاريخ» .

«يعتبر تقارب اعمال المؤرخين من علماء الاجتماع الآخرين ضرورة تامة لتطور العلوم الاجتماعية في عصرنا» . ان تنوع الظواهر في حياتنا الاجتماعية المعاصرة ، يقضي ان لا يبعثر علماء الاجتماع جهودهم بل يوحدوها من اجل تحليل هذه الظواهر والعمليات بكافة جوانبها بشكل علمي معمق .

ما هي العلاقات المتبادلة القائمة بين التاريخ والسوسيولوجيا ؟ ان طابع علاقات التاريخ بمجالات السوسيولوجيا الجزئية متنوع . وتحتل العلاقة المتبادلة بين النظرية السوسيولوجية العامة والبحث العياني للحياة الاجتماعية مكانة بارزة في الارث التاريخي لماركس ، انجلز ولينين .

فالمادية التاريخية التي تبحث في المجتمع كوحدة متكاملة ، تهتم بالقوانين العامة لتطوره وآلية عمله . وعندما يستند الانسان للمادية التاريخية اولا ، يستطيع ـ كما كتب لينين ـ «وصف الظواهر الاجتماعية (وتعميمها من وجهة نظر الهدف) والانتقال الى التحليل العلمي الدقيق ، الذي يبرز على سبيل المثال ، تمايز بلد راسمالي عن الآخر ويبحث عما هو مشترك بينهما» . فالنظرية السوسيولوجية الماركسية تشكل الاساس المنهجي لتوضيح الاحداث والظواهر المكتشفة من المؤرخين وتعميمها ، وكذلك كشف علاقاتها وترابطها . وتعتبر السوسيولوجيا كنظرية عامة الاساس النظري والمنهجي للبحث التاريخي في جميع مراحله .

ويعتمد اختيار المؤرخين لموضوع بحثهم على اساس التحليل المسبق لمجموع العناصر الموجودة سلفا والمتعلقة بالموضوع. ويستند بذلك الى المنهجية الماركسية التي تعتبر عاملا حاسما في جمع المواد وتنسيقها وكذلك في ترتيب الحوادث المؤكدة . وبعد توضيح الترابط والعلاقات المتبادلة بين كل الظواهر والعمليات الاقتصادية ، الاجتماعية ، السياسية ، الايديولوجية ، وارتباطها السببي في الظروف الملموسة ، يحدد المؤرخ دور كل عامل من هذه العوامل ، بالتصور الماركسي للمجتمع كهيئة اجتماعية متكاملة .

ان معرفة القوانين العامة للتطور الاجتماعي تساعد

الباحث في الوصول الى التعميمات والاستنتاجات الصحيحة التي تبرزها الوقائع . وتتضح الحتمية التاريخية الخاصة ، عند بحث آلية تأثير القوانين العامة في الظروف التاريخية العيانية ، ويعمق المؤرخ بذلك فهم النظرية السوسيولوجية.

لقد أولى لينين عناية خاصة لخلق اساس «من الحقائق الدقيقة وغير القابلة للجدل» من اجل الاستنتاجات العلمية. فعلم التاريخ الماركسي يطمح دوما الى تدعيم ذلك الاساس ، ليساهم بقسط في التعميمات النظرية للتجارب التاريخية.

لا شك ان هناك تمايزا بين حقيقة وأخرى ، والمؤرخ يتوجه من خلال المبادىء المنهجية للمادية التاريخية في تحليله لترابطها ودراستها من بين سلسلة الحقائق النموذجية البارزة . فالعلاقة اذن بين علم التاريخ والنظرية السوسيولوجية العامة قريبة جدا .

يضع المؤرخون والسوسيولوجيون عند بحث التطور الاجتماعي امامهم مهمة فهم الحوادث والظواهر العيانية في علاقتها بالتصورات حول النظام ككل . ويعتبر التحليل البنيوي ـ العملي في بحث العمليات الذي يشكل فيه الكل بأجزاءه شرطا منهجيا اساسيا ، وبارتباطه بالتحليل التاريخي والوراثي ، مبدءا منهجيا عاما للمؤرخين وكذلك للسوسيولوجيين . ان الالمام بالعلاقات السببية للحوادث والحتمية الاجتماعية وبيان آلية تأثيرها بالمواد العيانية ، يرفع من المستوى النظري للاعمال التاريخية ولمعناها السياسي ـ الاجتماعي . لقد اكد العلم منذ فترة طويلة

هذا التأثير المتبادل بين النظرية السوسيولوجية العامة والتاريخ .

ان المسألة التي لا زالت أقل وضوحا هي العلاقة بين التاريخ والنظريات السوسيولوجية الخاصة والى اي مدى يمكن للعمل المشترك بين النظريات السوسيولوجية الخاصة ان يغني التاريخ .

وعولجت هذه المسألة بشكل عام بمقال ب. ف فيدوسييف و َج. ب فراتسوف المنوه عنه سابقا. وتتضمن مقالات ي. ف. برومليج و و. شكاراتان «حول العلاقات بين التاريخ ، الاثنوغرافيا والسوسيولوجيا» وكذلك مقالات ف. إ بوليتايف و ي. ابولياتوف و ف. أ. أوستينوف «تاريخ الابحاث السوسيولوجية العيانية والكوبيرنيتيك» شروحات ملموسة . لقد وضَّحت هذه المقالات الشيقة اشكالات عامة ، وعللت ايضا ضرورة العمل المشترك بين علمين متقاربين. وتناول كلمن ي. ف برومليج و و. إ. شكاراتان خصوصية الابحاث التاريخية والسوسيولوجية ومجال بحثها ومناهج معرفتها .

وبنفس الوقت أدى الطرح الجديد للمسألة وكذلك مفهوم بعض الباحثين الغير متكامل للابحاث السوسيولوجية ــ العيانية ، لتصورات حول العلاقات المتبادلة بين التاريخ والابحاث السوسيولوجية ــ العيانية لا يمكن للانسان الموافقة عليها .

يزعم ف. ي بولتيايف و ي. ا بولياكوف و ف. أ.

اوستينوف في المقال المشار اليه على سبيل المثال ان «الابحاث السوسيولوجية ـ العيانية كشكل لتحليل المواد» تحتوي على مغزى للمؤرخين يستحيل على الانسان بحثه حسب المناهج التقليدية (التاريخبة ل. دروبيتسيفا) . ويصرح اكثر من ذلك بأن هذا الامر ينطبق على العديد من المصادر .

فالابحاث السوسيولوجية ـ العيانية ليست شكلا للتحليل ، ولا يتم اسلوب الوصول للمعارف بدون مناهج ، لذلك تعتمد الابحاث السوسيولوجية العيانية ـ والتي تنقل معارف ذات محتوى جديد ـ على مجموعة من المناهج .

والآن ماذا يمكن ان يفهم تحت الابحاث السوسيولوجية ـ العيانية ؟

يحلل البحث السوسيولوجي هذه المسألة او تلك معتمدا على نهج وتقنية مدروستين بعناية من اجل جمع المواد واعداد أولوياتها . وتعتبر النظرة الشمولية لاية مسألة الطابع المميز للابحاث السوسيولوجية ـ العيانية ، وهذا ما يجب التأكيد عليه ، لانه لدى بحث اية مسألة سوسيولوجية يتوجب اخذ الجوانب الاقتصادية ، التاريخية ، الحقوقية ، السوسيولوجية وكذلك نواحي اخرى بعين الاعتبار .

وربما يتبادر للانسان القول ان النظرة الشمولية لاية مسألة هي هدف البحث التاريخي ايضا . لكن امكانيات المؤرخين غالبا ما تبقى محدودة . وتنحصر حدود البحث

الشامل لاية مسألة اولا وقبل كل شيء في الفترة الزمنية الخاضعة للبحث . وترجع الاحداث والقضايا التي تثير اهتمام المؤرخين لعشرات السنين بل لقرون في الماضي ، ولا تتوفر دوما المراجع الضرورية لتحليل هذه الحقبات بشكل كامل . كما ان ركوب المستحيل لا يوصل الهدف دوما . اما السوسيولوجي فلا يواجه مثل هذه الصعوبات. وعندما تنقصه بعض المواد لا يعني ذلك بالضرورة صعوبة لا يمكن تجاوزها ، فيجد نفسه في اغلب الحالات صانعا للمراجع ، التي تتضمن حقائق تهم الباحث . وميزة البحث السوسيولوجي الاخرى ، معالجة المسائل الاجتماعية . ولكنها مهمة المؤرخين ايضا . ويكمن الفرق بينهما في ان المؤرخ يعيد بناء مسألة وقعت وجذورها في الماضي بينما يعالج السوسيولوجي مسألة تواجه المجتمع مباشرة . ويعتبر الارتباط بالممارسة ميزة هامة وعامة اخرى للبحث السوسيولوجي العياني . ومن الطبيعي ان يعتبر ايضا الارتباط بالممارسة ميزة لابحاث العلوم الاجتماعية الاخرى. وتبرز خصوصية الابحاث السوسيولوجية ـ العيانية في ارتباطها بمعالجة التنبؤات الاجتماعية الضرورية للمجتمع. ومن غير النادر ان تتضمن هذه التنبؤات شروطا معينة .

يكتب ج. ف اوسيبوف حول ذلك ، ان المسائل التي يتوجب حلها على اساس هذه الابحاث ، تقع ضمن اختصاص السوسيولوجيا اكثر من اي علم آخر ، رغم انها غالبا ما تظهر على حدود السوسيولوجيا مع بقية العلوم

الاجتماعية . ومن دون شك ان التاريخ علم معاصر . ونكرر دوما ان في معالجتنا للماضي ، نجد اجابات على الاسئلة التي تقلقنا اليوم . لقد عالج مؤرخون بالفعل المسائل والحوادث التي تسمح بفهم الحاضر دوما . ويراعي توجه المجتمع العلمي استنتاجاتهم المبنية على تجارب الماضي ، لانها تتضمن مغزى كبيرا في تحديد آفاق تطور المجتمع . وتحدد متطلبات الممارسة اختيار موضوع البحث التاريخي ايضا ، ولكن ليس مباشرة كما هو الحال في البحث السوسيولوجي ــ العياني . ففي التاريخ يمكن لاية حالة اجتماعية او تاريخية ان تكون موضوعا للتحليل .

تكمن راهنية علم التاريخ في ان نشر المعارف التاريخية بين الجماهير والذي تحث عليه الدولة والحزب ، يؤدي الى تطوير وعي الجماهير بوتائر عالية ، وتقدير سلوكية ملايين الناس .

تختلف مسألة الواقعة (الحدث) كمقولةمعرفية بالنسبةالى المتخصص في الأبحاث التاريخية ــ العيانية والابحاث السوسيولوجية ــ العيانية . يحلل السوسيولوجي بشكل اساسي حقائق اجتماعية ــ احصائية اي :

«أرقاما نموذجية ، مختصرة ومميزة ، تعتمد على مشاهدات جماهيرية اجريت خصيصا لظواهر اجتماعية» . وتكتسب لدى المؤرخ اهمية الوقائع الفريدة ، الخاصة وبعض القضايا الشاذة عن توجه التطور الاساسي .

ان اختيار الحقائق في بحث المؤرخ مهمة ضرورية . ولم

يطبق حتى الان في تحليلها ـ الا ما ندر من الحالات ـ مناهج رياضية واحصائية . ويعتمد المؤرخ عادة على الحقائق المتناولة ويختار أبرز ما بينها بالنسبة اليه . وكلما كانت الاحداث سحيقة في الماضي ، كلما صعب على الباحث الوصول للمعلومات المرتبطة بهذه الحادثة او تلك .

وتستند الابحاث السوسيولوجية كذلك الى منهج مختار ، لكن هذا الاختيار يتم حسب معيار التمثيل الدقيق والذي يعكس الملامح العامة لبعض الجماعات الاجتماعية . لنفترض ان مؤرخا وسوسيولوجيا واجها معالجة ظاهرة اجتماعية . فأين سنجد الفرق بين أسلوب عمليهما ؟ فلدى المؤرخ مرجع يعود للماضي لا يمكن تغيره او تحديده ، لكن السوسيولوجي يعد المرجع حسب برنامج مدروس ، ويعتبر احد مؤلفي الوثائق واقعيا .

يلاحظ السوسيولوجي الواقعة في البحث العياني ويسجلها في الحاضر ويمكن ان يجري تجربة للتأكد منها أما المؤرخ فيحلل الماضي ويبحث عن الحقيقة في الوثائق المحفوظة .

بعد ما أبرزنا الفرق بين المعلومات التاريخية والسوسيولوجية ، وكذلك قرب العلاقة بين المعلومات السوسيولوجية والاحصائية ، نعالج التمايز بين الوقائع السوسيولوجية والاحصائية .

تختم دراسة المعلومات الاحصائية بمعالجة وترتيب الوقائع الاولية ، وتعتبر هذه المعلومات المراجع الاهم

للابحاث السوسيولوجية والتاريخية . ولا بد للبحث السوسيولوجي من ان يضع لنفسه مهمة اكتشاف معارف جديدة . ذلك يعني الارتفاع بتحليل الواقع الى المستوى النظري ولا تتضمن الابحاث السوسيولوجية تحليل الحقائق التجريبية وحسب ، بل معالجة نظريات سوسيولوجية خاصة ايضا (١٣) .

يبذل الانسان قصارى جهده في الابحاث السوسيولوجية من اجل التأريخ . ولا يتبع ذلك ان تحليل التأثير على مدى فترة طويلة خبرة خاصة لهذه الابحاث . بيد ان معالجة التغيرات في حقبة زمنية محددة تعتبر ميزة هامة للتحليل التاريخي . وللابحاث التاريخية والسوسيولوجية العيانية دون شك خصوصيتها ، ان كان في موضوع بحثها او نهجها .

وتحتاج مسألة العلاقات المتبادلة لبعض العلوم الاجتماعية بالنظريات السوسيولوجية وبالابحاث السوسيولوجية العيانية على ما يبدو الكثير من التحاليل.

يتضمن كل علم اجتماعي جانبا ـ مجالا ـ سوسيولوجيا، الذي يعتبر ملازما للسوسيولوجيا وتعميماتها .

ان التأثير المتبادل بين السوسيولوجيا والعلوم الاجتماعية الاخرى دقيق في هذه المجالات الخاصة ، ويعتبر التاريخ بين فروع العلوم الاجتماعية ، العلم الاوسع مجالا واكثرها تعددا في جوانبه .

وتحتك موضوعات علم التاريخ الطارئة والعديدة

مباشرة بالسوسيولوجيا العيانية .

وهناك بنفس الوقت كما يكتب ج. ف برومليج و و. إ. شكاراتان على مستوى النظريات السوسيولوجية الخاصة «مجالات» تدل على خصوصية المنهجية التاريخية والسوسيولوجية (١٤). ويصح ذلك عندما يتعلق الامر بآلية تأثير القوانين السوسيولوجية ضمن الظروف التاريخية العيانية ، وكذلك عند صياغة الفرضيات وتحديد مفاهيم البحث الاساسية وتفسيراتها التجريبية . تتضمن الابحاث التاريخية ايضا مستويات تجريبية . فهناك العلم الماركسي الموحد للعملية التاريخية وللمجالات المختلفة الاخرى ، والذي يبحث هذه العمليات من كافة جوانبها ومراحلها الملموسة ، وتختلف العلاقة المتبادلة بين التاريخ والسوسيولوجيا حسب مستويات تجريد البحث التاريخي وطابع الموضوع المبحوث. ويبرز التداخل المتبادل بشكله المكثف في مجالات النظرية السوسيولوجية العامة ودراسة العمليات التاريخية ككل وكذلك في مراحل تطورها الفردي .

كذلك تحدد النظرية السوسيولوجية العامة الابحاث التاريخية المتعلقة بنواحي الحياة الاجتماعية المتعددة ، بينما ترتبط الابحاث السوسيولوجية العيانية اساسا بالمجالات الخاصة لعلم التاريخ، والتي تتم معالجتها من خلال بعض نواحي الحياة الاجتماعية ، حيث تفنى وتحدد بعضها بالتناوب . من غير الممكن معرفة كافة مواضيع البحث

التاريخي اذا لم تحلل بكاملها . ويتضح لدرجة ما من خلال ذلك ، الكثير مما هو مشترك في مناهج نقل الوقائع وتحليل المعلومات من قبل المؤرخين والسوسيولوجيين .

يجد تحليل الوثائق الذي يعتبر شكلا اساسيا في جمع معلومات المؤرخين تطبيقاته كذلك لدى السوسيولوجيين . ويعتبر التحليل الاحصائي، الوصف ، التنسيق، التنميط وتحليل النظام مناهج تحليلية لدراسة المعلومات الاولية من قبل المؤرخين والسوسيولوجيين. وينطبق هذا على التحليل التاريخي ايضا . فعندما نحاول تحديد مجالات موضوع مجاور للعلوم الاجتماعية وعلاقتها المتبادلة، علينا ان نراعي قيود الحدود العائمة بين العلوم ، وترابط جميع الظواهر ببعضها في الحياة الواقعية . ما هو المكسب الذي يجنيه المؤرخون من خلال العمل المشترك مع السوسيولوجيين ؟ يتضمن اهتمام المؤرخين بهذا العمل المشترك عدة نواحي . فالابحاث السوسيولوجية العيانية تعطي المؤرخ الذي يعالج الحاضر مادة غنية لتحليل اهم مسائل الحياة الاجتماعية . انها تمس تلك الجوانب المعقدة في تحليلها ، السيكولوجيا الاجتماعية للطبقات ، لبعض الجماعات والامم ، مسألة التمايز بين الطبقات وداخل الطبقات ، درجة انتشار وامتلاك القيم الثقافية من قبل الناس ، وكذلك المعايير الايديولوجية والاخلاقية الخ ...

لا تعتبر نتائج الابحاث السوسيولوجية ـ العيانية مساعدة للمؤرخ في هذه الحالة ، بمعنى انها معلومات اضافية ، بل كجزء هام من كتابة التاريخ ومعالجة المسائل المختلفة . لا تستنفذ النتائج المنشورة بتاتا مواد الابحاث السوسيولوجية ـ العيانية كمرجع للبحث التاريخي . وتدرس في مجرى البحوث السوسيولوجية استمارات ، ومقابلات مسجلة ومواد اخرى ، يدرسها المؤرخون من جديد حسب متطلبات الاهداف والمهام التي تواجههم . ان فائدة معارف الابحاث السوسيولوجية ـ العيانية لا تنحصر بالمؤرخ الذي يعالج مسائل الحاضر ، فهي لا تقل اهمية بالنسبة للاخصائيين المهتمين بقضايا الماضي التاريخية ، ومن باب أولي ان نعرف كيف يتم تطور العمليات والظواهر . ومن غير النادر ان يؤدي فهم الحاضر بشكل افضل الى تغلغل أعمق بالماضي ، لان الانتباه لم يوجه سابقا لمثل هذه القضايا التي اعتبرت في حينه انها غير ذات اهمية .

وأخيرا تغدو الابحاث السوسيولوجية ـ العيانية ذات معنى بالنسبة للمؤرخ لانه يتمكن من تطبيق تقنية ومنهج الاخصائيين في بحثهم للماضي والحاضر على السواء . وقد نما الاهتمام بشكل بارز بالسوسيولوجيا منذ عهد قريب نسبيا (١٥) .

لقد تخلّى المؤرخون حاليا عن مهمة تنشئة كادر السوسيولوجيا للفلاسفة . وأدت ضرورة الاحتكاك المباشر

بين العلوم الاجتماعية والسوسيولوجيا الى انشاء « قطـاع الابحاث السوسيولوجية ـ العيانية في مسائل الثقافـة والحياة لشعوب الاتحاد السوفياتي في معهد الاثنوغرافيا ومجموعة في معهـد تاريخ الاتحاد السوفياتي في اكاديمية علوم الاتحاد السوفياتي والتـي تهتم في الابحـاث السوسيولوجية والتاريخية .

يلاحظ في السوسيولوجيا اليوم ان هناك ظواهـر جديرة بالاهتمام : تتكامل تقنية البحث وتعد وتناقش برامج عملها بعناية ، كما هي جديرة بالاهتمام الجهود المبذولـة لاعداد النظرية (١٦) . ومع تكامل هذا العلم ، يزداد انجذاب المؤرخين نحو العمل المشترك . نجد السوسيولوجيـون بنفس الوقت انهم ليسوا أقل اندفاعا من المؤرخين تجـاه التعاون بين التاريخ والسوسيولوجيا . ففـي اي بحث سوسيولوجي ، تلاحظ العلاقة التاريخية في القضايـا والظواهر المبحوثة .

يعود السوسيولوجي في مثل هذه الحالات لمعارف علم التاريخ ، ويحمي المنهج التاريخي السوسيولوجي الى حد كبير ، من الرؤية أحادية الجانب ، ضيق الافق والنفعية ، في تحليل الظواهر الاجتماعية .

سنحاول ان نبين في الاجزاء التالية من خلال موضوعات عيانية من تاريخ الاتحاد السوفياتي ، كيف يرفع استخدام نتائج الابحاث السوسيولوجية ـ العيانية من المستـوى

النظري ومن المغزى العملي للاعمال التاريخية ، ويمكن كذلك من توضيح تلك الظواهر والحقائق في تأثيراتها المتبادلة ، والتي تظهر منعزلة للوهلة الاولى .

وسنستعرض التجارب ايضا ، التي تراكمت من الاعمال التاريخية والسوسيولوجية الاولى ، ونعالج وسائل السوسيولوجيين والتي تعتبر ذات قيمة لدى المؤرخين .

I الحاضر في اعمال المؤرخين والسوسيولوجيين

غالبا ما يواجه المؤرخون الذين يدرسون الماضي السحيق ، صعوبات في القاعدة المرجعية لابحاثهم . لذلك يحسدون قليلا المؤرخين المهتمين بتاريخ المجتمع السوفياتي . فلم يعد تحليل الماضي بهذه البساطة رغم توفر المراجع بالمواد الفنية . ولا تبدو العلاقات السببية لظواهر الحقبات التاريخية الماضية بهذا الوضوح ، لافتقارنا الى المراجع الاحصائية التي تؤكد الادلة العامة ، بالاضافة الى غموض ردود فعل الناس السيكولوجية تجاه الاحداث التي تتم في الحاضر ، الخ .. ومن هنا يزداد اهتمام المؤرخين الذين يحللون وقائع الحاضر بالعمل المشترك مع السوسيولوجيين ، والذي يساعدهم في كشف العلاقات السببية والاجزاء الملموسة والغامضة في بحثهم للعمليات

التاريخية ، من خلال طبيعة ابحاثه المتشابكة .

يتنوع البحث التاريخي للماضي القريب . ومن العسير هنا تبيان جميع منجزات علم التاريخ في تحليل تاريخ المجتمع السوفياتي في فترة الاشتراكية المتطورة ، كما يعتبر مجال الابحاث السوسيولوجية واسعا جدا .

فستتركز عناية البحث هنا على مسائل المدينة والقرية، العمل وأوقات الفراغ ، العائلة والعلاقات القومية وعلى التغيرات في الفروق بين الطبقات وداخلها وهكذا ... وسنكرس عرضنا المقبل لتلك الابحاث السوسيولوجية التي تجد اهتماما كبيرا لدى المؤرخين ايضا ، تلك الابحاث التي توسع تصوراتنا حول بنية المجتمع الاجتماعية وسيكولوجية الطبقات والفئات والجماعات الاجتماعية .

ان احدى اهم الموضوعات الرئيسية في كتابة تاريخ المجتمع السوفياتي ، هي تاريخ الطبقة العاملة السوفياتية. وسننظر عن كثب بعض الاعمال السوسيولوجية التي توسع امكانيات بحث المؤرخ في هذه الموضوعة .

١ ـ جوانب جديدة في بيوغرافيا الطبقة العاملة ـ

تصور الطبقة العاملة في الادبيات التاريخية مرة كموضوع للتاريخ (يبحث في هذه الحالة تطور الطبقة العاملة في مجرى التغيرات الاجتماعية في البلاد) واخرى كصانع

للتاريخ ، وذلك يعني : كقوة فاعلة ونشيطة في التغيرات الاجتماعية (١) .

يشيد المؤرخون المختصون بالطبقة العاملة ، انها كانت توضع في مركز الاهتمام حتى الماضي القريب كصانع للعمليات التاريخية ، ولم تبحث التغيرات داخلها الا في بعض الاعمال القليلة . ولقد تركزت تحليلات المؤرخين قبل كل شيء على تركيب الطبقة العاملة حسب المرتبة ، المستوى الثقافي ، مدة الخدمة في المهنة ومجموعات العمر.

وأدى الفهم المعمق للارث اللينيني بالضرورة الى تقسيم الطبقة العاملة الى فئات وجماعات متعددة على اساس مواصفات شاملة .

«ان بحث مجمل طموحات افراد مجتمع ما او مجموعة منه ، تمكّن فقط من تحديد نتيجة هذه الطموحات علميا . ونجد في اختلاف وضع وظروف حياة الطبقات التي ينقسم اليها المجتمع الاساس في تناقض الطموحات» (٢) . وتبعا لذلك يتوجب على الانسان في دراسته لبنية المجتمع السوسيولوجية ان يأخذ بعين الاعتبار مجمل الملامح الاقتصادية ، السوسيوسيكولوجية والايديولوجية لكل الطبقات ، المجموعات والفئات . لنتذكر ان لينين لم يقتصر في تمييزه للطبقة العاملة على مجموعات المهن ، التأهيل ، مدة الخدمة المهنية والاصل الاجتماعي ، ثم أطلق صفات متنوعة على هذه الفئة العمالية او تلك . وكتب لينين : «لكل ما يخصه ، فلكل فئة اجتماعية أسلوبها في الحياة وعاداتها

وميولها» (٣) .

وكتب لينين حول الفئة التقدمية في الطبقة العاملة ، فوصفها بالاكثر وعيا ، ثقافة ، تطورا ، تأهيلا والاعلى اجرا. وكان لينين في حينه يضع عمال التعدين في عداد هذه الفئة قبل غيرهم (٤) . وتحلل الابحاث السوسيولوجية ـ العيانية بنية الطبقة العاملة من كافة الجوانب .

من المعروف عموما ان هناك عمالا في نفس المهنة ومجموعة العمر ومتساوين في الخدمة يتقاضون أجرا مختلفا ، ويتمايزون ايضا في مواقفهم تجاه الاحداث السياسية والعمل ، ولديهم تأهيلا مهنيا مختلفا .

بماذا يحدّد الوضع الاقتصادي ـ الاجتماعي لفئات العمال المتعددة ، وكذلك ملامحها الاجتماعية ـ السياسية والسيكولوجية ؟

لقد وصل السوسيولوجيون الى الاستنتاج ان طابع العمل في الظروف الاشتراكية يكمن في التمايز داخل الطبقة نفسها . وتتشكل حسب هذه الميزة المجموعات التالية في الطبقة العاملة :

عمال عمل جسدي دون تأهيل ، عمال عمل غير جسدي من غير تأهيل خاص غير مؤهلين وكذلك مؤهلين قليلا ، عمال مؤهلين لعمل جسدي في الغالب على الآلات والماكينات ، عمال مؤهلين غالبا لعمل جسدي يدوي ، عمال ذوي تأهيل عالي لعمل ذهني وجسدي .

وتستخدم في الابحاث بعض التجمعات الاخرى على

سبيل المثال : عمال العمل اليدوي غير المؤهلين ـ والمؤهلين قليلا ، عمال الشريط الآلي ، الذي يتطلب تأهيلا مهنيا متوسطا ، عمال عمل ممكنن دون نظم محدد وبمستوى تأهيلي متوسط ، منظم ، ميكانيكيي التصليحات ، عمال الاجهزة المؤتمتة .

تبقى مبادىء التصنيف متشابهة بوجه الاجمال ، رغم الفروق في تقسيم العمال حسب طبيعة ومحتوى عملهم في الابحاث المختلفة . ويضيف السوسيولوجيون الى كل بحث عياني توصيفا ثابتا لمجموعات العمل حسب العمر ، التعليم ، الاجر والممارسة . وتحلل ملامح هذه المجموعات السيكولوجية والاجتماعية ـ السياسية على اساس هذه الملامح الاجتماعية ـ الاقتصادية .

لقد اعطت التوصيفات اللينينية لخواص سلوك وسيكولوجية الطبقة العاملة المثل للمؤرخين والسوسيولوجيين. لقد اكدلينين خاصةعلىاستعداد العمال لوضع المصالح الطبقية فوق المصالح الفئوية، وحقدهم مقابل اشكال الاستغلال ، والانضباط والتنظيم واستعدادهم للتضحية مقابل مصالح المجتمع ، واستعدادهم وتلاحمهم وقدرتهم لوضعها مئات المرات قيد الاختبار وتحسينها من اجل الوصول الى الاهداف الدفينة ، وحقدهم واحتقارهم مقابل البورجوازية الصغيرة والاذلال ، وطموحهم من اجل مستوى ثقافي اعلى (٥) .

وتترك قراءة بعض الاعمال في وصفها الممل للعمال تأثيرا بائسا . وينجم هذا البؤس عن استمرارية بعض المؤرخين بالتقيد تجاه التفسيرات الموروثة .

ولنأخذ على سبيل المثال علاقة العمال بالعمل . لقد انحصرت دراسة هذه العلاقة في الابحاث التاريخية حتى الماضي القريب في «مشاركة العمال في المباراة الاشتراكية» .

ويجري التعرض احيانا لمكافحة الاهمال في العمل وللجنةالانتاج ولمساهمةالعمال فيالعقلنة Rationalisierung اثناء معالجة المراحل الاولية في تاريخ المجتمع السوفياتي ، لكن العلاقة بالعمل تبقى أغنى من ذلك بكثير . لنفكر فقط بمدى الاعتزاز الذي نتحدث فيه عن معارفنا وأصدقائنا «المتفانين في أعمالهم» .. ونستمع احيانا اخرى «أف .. عليّ ان اذهب غدا صباحا للعمل ثانية» . او تصدح احيانا في اذاننا دونما اكتراث «اعيش من سبت لآخر» . وغالبا ما نستشهد بقول ماركس القديم : «ليس العمل حاجة فقط او سيكون كذلك ، وانما سيكون مصدر المتعة في المستقبل البعيد» . وليس من الصعب معرفة ان مثل هذا العمل ليس شيئا مستقبليا ، وانما موجود في حاضرنا ، بل وجد دوما . ويعود ذلك الى ان هذا العمل لم يدرك كعمل . لقد نوه اينشتاين مرة بأنه لا يعمل في اليوم الا اربع ساعات ، وحدد بذلك الوقت الذي يتواجد فيه جالسا في غرفة العمل . فعملية التفكير خارج هذه الغرفة ليست عملا كما

نظر اليها اينشتاين ، وعندما يحقق العمل الرضى والمتعة، سنشعر به كحاجة وليس كعمل صعب .

ويحاول السوسيولوجيون ان يلموا بتنوع علاقة الناس بالعمل ، كعلاقة عمل لمجموعات العمال على اختلافها ضمن الظروف المعاصرة . لقد درس علماء لينينغراد بصورة خاصة علاقة الشبيبة بالعمل ، ويكتسب ذلك اهمية خاصة لان الشبيبة ستغدو في عشر سنوات مركز الطبقة العاملة .

وتشكل نسبة العمال الشباب في لينينغراد ما بين ١٨ ـ ٣٠ سنة ٤٠ بالمئة من تعداد المعامل .

لذلك وضع السوسيولوجيون نصب اعينهم مهمة بحث العلاقة بالعمل على اساس توجهات الناس الحياتية .

لقد كشفت الدراسات الميدانية ان ٤١ر٦ بالمئة منهم تركز اهتمامها بالدرجة الاولى على العائلة وتربية الاطفال ، و ٢٣ر٣ بالمئة على رفع المستوى العلمي والثقافي، و ٢٠بالمئة على النشاطات الاجتماعية والعمل في المصنع ، ولدى ٦ بالمئة على رفع الاجر . وهناك ٣٦ر٣ بالمئة لم يعطوا اجابات واضحة او اشارة الى اهداف حياتية اخرى .

ونجد علاقة دقيقة ضمن توجهات العمل المختلفة . ففي تحليل آخر انكشف على سبيل المثال ان هناك بين المهتمين بالعائلة في المقام الاول ، ١٥ بالمئة يركزون على التوجه نحو التعليم ، و١٤ بالمئة على النشاط الاجتماعي و١١ بالمئة على متطلبات الانتاج . ووجدنا لدى الناس الذين توجههم متطلبات الانتاج والنشاطات الاجتماعية ، اقصى درجات

الرضى والمبادرة في العمل . بينما لم يصل الذين يرون في رفع أجورهم اساس الحياة ، لم يمثلوا دلالة عالية في علاقتهم بالعمل . ورغم ان نتائج عمل هؤلاء تفوق متوسط معدلات الانتاج ، فانهم لم يشاركوا في عملية العقلنة ، وليس لديهم علاقة خلاقة بالعمل . وكان رضاهم عن اعمالهم اقل بشكل بارز من جميع الذين جرى بينهم الاستفتاء .

ولتوضيح علاقة مجموعات الاعمار بالعمل ، شكلت مجموعة اضافية من المسنين للمقارنة ، وتبين ان تقييم الشباب لحالات الخلاف في الانتاج ، والعلاقات مع الادارة والعلاقات الجماعية اكثر دقة مما لدى المسنين . واكتسبت الاهمية الخاصة عند المسنين ، ظروف العمل ، والعناية الصحية والحماية من الاصابات .

ان الامكانيات الخلاقة في العمل هي قبل كل شيء تلك الامكانيات التي تجعل العمل جذابا للناس . واختارت اكثرية العمال الشباب ، محتوى العمل ، من بين سلسلة العوامل التي تحدد علاقتهم بأهم شيء في الحياة .

وجاءت الحوافز المادية في المرتبة الثانية (ترفع من انتاجية وكيفية العمل بغض النظر عن محتواه) . ويصبح الحافز المادي اداة لتطوير علاقة شيوعية بالعمل ، في شروط توفر محتوى رفيعا للعمل فقط ، وبهذا الاسلوب يصبح العمل ايضا ضرورة شخصية وحاجة فردية (٦) .

لقد كشف السوسيولوجيون اللينينغراديون كيفية تأثير مثل الناس في حياتهم على علاقتهم بالعمل وما هو الحافز للعمال في انتاجيتهم .

لقد منحت الابحاث السوسيولوجية ـ العيانية امكانيات التحليل ، ثقة اكبر لمنجزات المشاركة في «حركة العمل الشيوعي» ، واعطاء ميزاتها الحقيقية في النشاط الانتاجي، وحاجاتها الثقافية ومعايير سلوكيتها الاخلاقية (٧) . ويستطيع المؤرخون بالاستفادة من الاعمال السوسيولوجية ان يقدروا بشكل علمي ملموس ، دور الحوافز الاشتراكية والشيوعية في «حركة العمل الشيوعي» .

لقد بينت الابحاث اللينينغرادية في معامل بناء الآلات معنى الحافزين المادي والمعنوي الكبير ، على المشاركين في المباراة لاكتساب لقب «نشطاء العمل الشيوعي» .

ففي «مجموعة العمل الشيوعي» ، لم يكن عدد الناس المهتمين اولا برفع أجورهم قليلا (٥ر٣٠ بالمئة وفي المجموعات الاخرى ٧ر٤٣ بالمئة) ويحقق العمال ذوي الممارسة الواسعة في المهنة والعمل النتائج المرجوة في المباراة (٨) . لذلك يعتبر رفع المستوى العلمي اساسا هاما للمشاركين في «حركة العمل الشيوعي» .

وتكتسب نفس الاهمية ايضا معرفة كيف يتحقق مثل هذا المطلب . ويشير تحليل لبناة الآلات ان عدد المتمرنين من العمال الشباب ، الساعين من اجل لقب «نشطاء العمل الشيوعي» أقل بنسبة الضعفين بالمقارنة مع عددهم بين غير

المشاركين في هذه الحركة ، وتقل نسبة الذين يواصلون دراستهم في المدارس العليا عن ١٠ بالمئة تقريبا . وتبين النتائج الاخرى مشاركة العمال المسنين الزائدة في «حركة العمل الشيوعي» . وتتضمن هذه النتيجة من جهة اخرى التناقض – الذي كشفه السوسيولوجيون – بين نتائج الانتاج ومستوى التعليم . فالنتائج التي توصلت اليها الابحاث السوسيولوجية تمكن بشكل أوضح من معالجة النتائج والمسائل المعقدة في تنظيم المباراة . وتحث الاعمال السوسيولوجية المتعلقة بمسألة العمل على النظرة الشاملة لكثير من المسائل .

أمن الممكن ان يصبح العمل اهم ضرورات الحياة في الحاضر ؟ وان كان نعم ، فما هي طبيعة هذا العمل ؟.

منذ اليوم يتضح ان هذا العمل يحمل في ثناياه طابعا خلاقا قبل كل شيء . وكان العمل دوما ، لا يزال وسيبقى مرتبطا في المجتمع بصعوبات وازعاجات عند انجاز المهام المطروحة وكذلك عند المكننة والاتمتة الواسعتين .

وصف صحفي مهتم بمسائل العمل انطباعاته في حديث لافراد لهم نفس المهنة في بلادنا كما يلي :

هناك شخصان يقومان بأعمال مساعدة في معملين مختلفين . يعمل الاول في تعبئة وتفريغ مركز لتجارة الخضار . ولم يكن راضيا عن عمله ، ونظر اليه كعمل مؤقت وكوسيلة لكسب ما يسد به متطلبات حياته . وعمل الثاني في نقطة اسناد آلية لاحد السوفخوزات . كان عمله صعبا

ايضا لكنه جذابا ، لان جميع الذين في نقطة الاسناد الآلية ـ من العامل الى القائد ـ مسؤولون عن سير العمل ، ويشعرون جميعا انهم شركاء في قضية عامة ، ضرورية لجميع عمال نقطة الاسناد .

الم ينوه لينين الى ان توافر مثل هذا العمل الضروري للجميع كبذرة تميز المستقبل الشيوعي ؟.

لم يكن العمل حتى الان خلاقا دوما في Subbotniks السبوتنيكات الشيوعية ، لكن دوافع العمل فيها اغنيت عن طريق الوعي ، بأن لها مغزى اجتماعيا ومعنى للناس الآخرين . وبهذا يصبح العمل ضرورة للناس . ومن الضروري للمؤرخ ان يعرف اين ، بأي عمل وبأية منظمة تنشأ بذور التحويل للعمل ليصبح ضرورة اساسية للحياة.

لنأخذ الانضباط (Diziplin الديسبلين) كتعبير عن العلاقة بالعمل . فعندما يصف المؤرخ حالة الانضباط، يقدم عادة ارقاما حول اوقات العمل الضائعة في فروع الصناعة ، في هذا المعمل او ذاك الفرع ، اما السوسيولوجي فيحدد انضباط الشغيلة على اساس معطيات فردية للعمال ومعدّة سلفا حسب معايير مسبقة (٩) . فحسب استقصاء للعمال اللينينفراديين الشباب كان ٨٢ر٦٦ بالمئة منهم منضبطين ، ولدى ١٦ر٢٣ بالمئة انتهاكات لنظام العمل و١ر٢ بالمئة غير منضبطين .

وتخوّل نتائج الابحاث السوسيولوجية تجميع العمال حسب درجة الثقة وروح المسؤولية في العمل وبدقة

حسابية (حسب الوقائع الحقيقية المدققة والمستندة لوثائق ومواد الاستقصاء في المعامل) (١٠) .

ومن خلال المشاركة في حركة المجددين والترشيد Rationalisatoren ، يحدد المؤرخون المبادرة في العمل، ويتم استيعاب طبيعة هذه الحركة بشكل اكمل بالابحاث السوسيولوجية ـ العيانية . ففي الادب التاريخي يحدد على سبيل المثال معطيات حول عدد المخترعين والاقتراحات المقدمة من قبلهم وكذلك الفوائد الاقتصادية عند تحقيقها. ولا تتوفر دوما معطيات عن عدد الشغيلة المشاركين بشكل عام . ولا تقدم هذه المعطيات عادة معلومات عن علاقة الشغيلة الخلاقة بالعمل . واختار السوسيولوجيون اللينينغراديون للدراسة بعضا من هذه المجموعات التي تمثل علاقة العمال بالعمل . شملت المجموعة الاولى افضل العمال «المعقلنين» وانشطهم ، والذين يتقدمون باقتراحات لتحسين الانتاج وتنظيمه ، ينجزون اكثر مما هو مخطط ومنتوجاتهم ذات نوعية رفيعة ويتمتعون بثقة الادارة ومجموعة العمل . وشكلت نسبة هؤلاء ١١ بالمئة من العمال الذين جرى استقصاؤهم .

وشملت المجموعة الثانية عمالا لا يتجاوزون الخطة في انتاجهم ذي النوعية المتوسطة ، ولا يظهرون اية مبادرة ذات قيمة . وبلغت نسبة هذه المجموعة ٣٦٫٨ بالمئة من العمال الذين جرى استقصاؤهم .

ان هذا التلخيص في تشكل المجموعات يعبر عن علاقة

الشغيلة بالعمل جيدا .

وعندما تتكامل الملامح الاقتصادية الاجتماعية بأخرى سيكولوجية ، يمكننا الحديث عن فئات داخل الطبقة العاملة ، ذلك يعني الوصف الواقعي لبنية الطبقة العاملة الاجتماعية .

ان الاستفادة من نتائج الابحاث السوسيولوجية ـ العيانية لا تسمح للمؤرخين بتحليل تغيرات الطبقة العاملة حسب تركيبها فقط ، وانما حسب بنيتها الاجتماعية ايضا. فمن خلال المواد الاحصائية في دائرة الاحصاء المركزي بالاتحاد السوفياتي والابحاث السوسيولوجية المختارة من الماضي ، يتمكن المؤرخون بنظرة تراجعية المحاولة في ان يحيوا بنية الطبقة العاملة الاجتماعية من جديد آخذين بعين الاعتبار الميزات التاريخية كمراحل التطور الماضية ايضا .

وان بنية الطبقة العاملة الاجتماعية بالمفهوم السوسيولوجي ، تتضمن اكثر من مجرد بحث تفصيلي لفئات الطبقة العاملةاجتماعيا وميزاتها السوسيوسيكولوجية المعقدة . فدراسة البنية الاجتماعية من جانب السوسيولوجيين تتطلب وضوحا حول عمل وآلية نشوء العلاقات بين الفئات داخل الطبقة العاملة ، وبنفس الوقت بين الطبقة العاملة وطبقة الفلاحين التعاونيين والمثقفين . تكتسب البنية الاجتماعية من خلال الرؤية الشاملة اهمية خاصة . وهذا لا يتطلب بحث مصادر تطور الطبقة العاملة فقط ، وانما كشف حركة فئات الطبقة العاملة كل على حدة،

والتبادل الاجتماعي بين الجماعات المختلفة داخلها ، وكذلك ما بين هذه الطبقة والتجمعات الاجتماعية الاخرى .

ان دراسة التغيرات في بنية الطبقة العاملة الاجتماعية ودراسة وحدتها الاجتماعية والملامح العامة لفئاتها ، بعلاقتها بالعمل والواجب الاجتماعي ، تسمح للباحثين وصف الدور القائد للطبقة العاملة في المجتمع الاشتراكي من كافة جوانبه .

من غير النادر ان تضطرنا معرفة نتائج الابحاث السوسيولوجية الاستغناء عن معايير التقييم المعهودة . لفترة طويلة ، على سبيل المثال ، نظر في الادبيات الاقتصادية والتاريخية المعاصرة ، كحركة القوى العاملة (عدم الاستقرار خاصة) كظاهرة سلبية . لقد حلل السوسيولوجيون هذه المسألة ، وربطوا مسألة «عدم الاستقرار» بحركة القوى العاملة ككل . ونجد نتائج تحليلاتهم الاقتصادية ـ الاجتماعية متضمنة في الكتاب (حركة القوى العاملة في المعامل الصناعية) (١١) .

ان انتقال الناس من الصناعة الى فروع اقتصادية اخرى والى المجالات الثقافية ، او تبدلات القوى العاملة بين الفروع الصناعية والتي تؤدي لتغيير بكادرها الانتاجي ، لا يرجع بالضرورة دوما لنقائص في الانتاج ، تنشأ مثل هذه التبدلات من الطلب المتزايد على الكادر، والالتحاق بالدراسة وأسباب كثيرة اخرى . ففي مثل هذه الحالات يعكس تبديل الكادر تغيرات تقدمية في مجتمعنا . لذلك يرى

السوسيولوجيون والاقتصاديون انه من غير الجائز تمييز حركة القوى العاملة عن تقلبات الكادر .

فالتقلب هو فقط تغيير مكان العمـــــل دونما سبب جوهري ، تفرضه ضرورة اجتماعية او اقتصادية . وبددت الابحاث كذلك التصور في ان التقلب يستند الى الرغبة في رفع أجر العمل .

لقد تبين ان التقلب ينشأ فـــي اغلب الحالات عـن عدم الرضى في محتوى العمل ، ويبرز هذا بشكل رئيسي في اوساط الشغيلة قليلي التأهيل او مـــن غير تأهيل . وتضطرنا تحاليل التقلب هذه الى اعادة التفكير من جديـد بتبدلات مكان العمل في الصناعة ، والمعروف من خـــلال ادبيات وذكريات نشطاء الخطة الخمسية الاولى ، مـــدى الصعوبات التي تم التغلب عليها نتيجة للتقلب في المعامل ومراكز البناء . وبهدف توضيح دوافع تبديل مكان العمل، قام أ. إ فدوين بتحليل مذكرات نشطاء البناء الاشتراكـي الاوائل ، ووصف الصحافيين ووثائق اخرى في ذلـــك الوقت . فالى جانب «الاسراب» التي غيرت مكان عملهـــا بحثا عن دخل اكبر غالبا ، هناك عدد غير قليل من الناس بدّلوا اماكن عملهم بسبب عدم القناعة بمحتوى العمـــل وظروف الحياة (١٢) .

وينشأ تبديل مكان العمل ايضا بسبب العمل الفصلي في بعض فروع الصناعة ، وانتداب العمال لمراكز مسؤولة في الهيئات الاجتماعية والحكومية والالتحاق بالدراسة .

ويعطي عمل أ. إ فدوين المثل المقنع لمساعدة المؤرخين في دراسة الماضي وتناول حوادثه وظواهـــره بالتحليل ، بطريقة واسلوب جديدين . وتخولنا النظرة من زاويـــة جديدة ، مقارنة القضايا المتعلقة بمرحلة التطور التاريخية المعاصرة ، بتلك التي تمت في الماضي . فالمعارف التـــي عالجها السوسيولوجيون تكمل كتابة تاريخ الطبقة العاملة، وتساهم جوهريا في فهم الجوانب الثقافية والروحية لهذه الطبقة . فعندما تتعرض الاعمال التاريخية المعاصرة لوصف ثقافة العمال ، تقتصر على الاشارة الى مستواهم التعليمي في جميع فروع الصناعة او مجموعات الاعمار . ومن المهم ان نعرف في هذا السياق ، كيف يقضي العامل اوقات فراغه، وما هي المسائل التي تشغله في الحياة الاجتماعية، السياسية والثقافية ، وما هي الثروة الروحية التي يمتلكها . فمواد الابحاث السوسيولوجية العيانية ، تغني التصور حـــول المستوى الثقافي لفئات الطبقة العاملة المختلفة .

فالحجة التي تطرق مسامعنا من انه لم تجرى بحوث سوسيولوجية خاصة لمعالجة الجوانب الثقافية والروحيـــة العمال ، ليست محقة دوما .

ويشار هنا فقط الى نتائج ابحاث المستوى الثقافي ــ التقني لعمال معامل سفيردلوفسك ومنطقة غوركي (١٣) ، وكذلك الى أعمال السوسيولوجيين اللينينغراديين المنـــوه عنها سابقا . وكشفت هذه الابحاث مسائل تمايز ثقافـــة فئات الطبقة العاملة المختلفة . من هذه المسائل على سبيل

المثال : ماذا تشمل اهتمامات العمال ، والى أي مستوى تعليمي وصلوا ، ما هي العلاقة التي تربطهم بهذا الشكل او ذاك في النشاطات الثقافية . وتوجد كذلك مواد موسعة حول اوقات فراغ العمال ، تتضمن معطيات حول وقت الفراغ المتوفر ونشاطات الشغيلة خلاله .

ان تحليل الطبقة العاملة ، آخذين بعين الاعتبار ملامحها السوسيوسيكولوجية والثقافية ، توجه انتباه المؤرخين بالضرورة الى البحث عن المصادر التي تعكس هذه الملامح في الماضي . ومن الواضح ان الانسان لا يستطيع ان يعتمد بشكل كامل على هذه المصادر ، انما ان يستفيد في التحليل ـ ومن وجهة نظر جديدة ـ من وسائل العمال ، ميزاتهم ، سيرهم الذاتية ، تعليل الاقتراحات للمكافأة ، المذكرات والى حد ما الصحافة ، ومن بينها صحف المعامل ذات الطبقات الواسعة .

٢ ـ السوسيولوجيا الزراعية تغني كتابة تاريخ القرية السوفياتية .

هيأت نتائج البحث السوسيولوجي ـ العياني في مجال السوسيولوجيا الزراعية واستخدام مناهجها الى التحليل الواسع والمعمق للقرية السوفياتية .

ويتقدم الابحاث السوسيولوجية في القرية السوفياتية

نموذجان .

اولا : الابحاث السوسيولوجية ـ العيانية ذات الموضوع الخاص والمعتمدة على الاستفادة من مراجعها الرياضية الشاملة . ولا زالت هذه الابحاث نادرة حتى الان .

ثانيا : الاعمال التي كتبها مؤرخون ، فلاسفة، حقوقيون واقتصاديون واستخدمت فيها مصادر منبثقة عن مناهج الابحاث السوسيولوجية ـ العيانية (المقابلات ، الاستمارات) (١٤) .

جرت في الآونة الاخيرة سلسلة من الابحاث السوسيولوجية الزراعية التي تهتم بميزات تجمعات سكان الارياف في شتى انحاء البلاد وبمسائل الاشراف الثقافي وتوفير المواد في الريف . وتخضع لهذه الابحاث مواضيع متمايزة جدا في معاييرها .

في كثير من الحالات كان موضوع البحث قرية او مجموعة من القرى في اطار احد او بعض الكولخوزات او السوفخوزات ، وكانت نتيجة هذه الابحاث العلمية متمايزة. ويتعلق ذلك بمدى دقة اختيار الموضوع ، وبنموذجيته لاحتواء الخواص المميزة من جهة اخرى . ومن المؤسف القول ان كثيرا من الاعمال تخلو من تعليل لاختيار موضوع البحث (١٥) .

يجب ان تعتمد الاستنتاجات المستوحاة من تحليل بعض التجمعات الريفية ، على نظام له دلالاته الاقتصادية والديمغرافية والجغرافية ، من اجل ان يكون هناك شهادات

يمكن نقلها ، كما هو عام في ظروف القرية المنتخبة او الكولخوز او السوفخوز . ولا جدال البتة في فائدة هذه الابحاث .

لقد اجرى السوسيولوجيون النوفوسيبيرسكين Novosibirisker ابحاثا في تجمعات اقتصادية كبيرة . وتم تحليل مواضيع نموذجية من مناطق البلاد المختلفة حسب برنامج موحد ، وضعته «لجنة المسائل السوسيولوجية في القرية» التابعة لـ«الهيئة السوسيولوجية السوفياتية»(١٦).

نكرس الان جل اهتمامنا لنتائج الابحاث السوسيولوجية ـ العيانية والاعمال التاريخية والاثنوغرافية التي طبقت مناهج سوسيولوجية ـ عيانية ، ونحدد مساهمتها في كتابة تاريخ القرية السوفياتية . ان احدى أهم مسائل هذه الابحاث دون شك ، تحليل البنية الاجتماعية لسكان الارياف . وعولجت هذه المسألة اساسا في الادب التاريخي انطلاقا من وضع القرية قبل فترة التعاونيات (قبل ١٩٣٠ ـ لجنة التحرير الالمانية) .

ويعود توضيح البنية الاجتماعية لسكان الارياف في فترة انتصار التعاون ، لتحليل الميزات الموجودة عادة بين شكلي الملكية الاشتراكية : ملكية الدولة والتعاونيات .

ان تطور العملية الاجتماعية في الريف ضمن الظروف المعاصرة ، وضرورة توجيهها من قبل الدولة ، يتطلب بشكل حثيث تحليل وضع الطبقات والفئات والجماعات الاجتماعية في تركيب سكان الارياف ، وتحديد دور ومكانة القرية

المعاصرة في مجال الفروقات بين الطبقات وداخلها .

فالتجربة الاولى لتجمع الفلاحين حسب اهتماماتهم ، مهنهم ودرجة تأهيلهم اجراها علماء لدى دراستهم القرية السوفياتية كوبنكا (١٧) .

وعلى اساس المواد العيانية، اوضح علماء ستافروبولسكر Stawropolsker الفروقات بين الاخصائيين ، الميكانيكيين والعمال اليدويين حسب مقدار النشاط الاجتماعي الملقى ، مستوى التضامن الرفاقي في الانتاج ، المرامي الاخلاقية وتوزيع اوقات الفراغ (١٨). ومن المؤسف في هذا البحث ان لا تراعى الفروقات الاجتماعية الاقتصادية بشكل كاف لانها تحدد بشكل جوهري ميزات الجماعات الاجتماعية لسكان الارياف .

ينطلق السوسيولوجيون في تحليلهم للفروق بين الطبقات وداخلها من الموضوعة الماركسية : ان العلاقة بالملكية كشكل اساس التمايز الطبقي .

ان محتوى الفروقات الاجتماعية بين الناس ، المرتبطين بملكية الدولة او بالملكية التعاونية الكولخوزية لا يبقي ثابتا . واحد المهام الاساسية التي يضطلع السوسيولوجيون بها ، تحليل الطابع الشامل والعياني لتمايز الطبقات .

وتبرز من هذه الابحاث صورة عميقة وشاملة لبنية المجتمع الاجتماعية (١٩) .

وتسمح مواد الابحاث السوسيولوجية التي اجريت في مناطق البلاد المختلفة ، تحليل المحتوى الملموس للتمايز

الاجتماعي في هذا المجال او ذاك من مجالات الحياة : في الوضع المادي ، التعليمي ، الحركة الاجتماعية وفي المشاركة بالادارة .

وأكد استخدام منهج الضرائب الرياضي المعقد جدا من قبل السوسيولوجيين النوفوسبرسكريين ، صحة تشكل الجماعات الاجتماعية على اساس محتوى العمل .

وانطلاقا من ان العمل هو العامل الاجتماعي المميز في الاشتراكية ، توصل السوسيولوجيون النوفوسبرسكيون الى الملامح التي تطبع جماعات المهنة الاجتماعية وهي ما يلي: تأهيل العمل الذي يحدد بمقدار كبير قسط الانسان في الإنتاج الاجتماعي ، ودرجة تعقد العمل حسب طابع العمل الواجب تنفيذه وكذلك بالنسبة للظروف التي يتم العمل من خلالها ، والمغزى الاجتماعي للعمل . وتحدد هذه الملامح جوهريا نصيب العمال من الثروة الاجتماعية ، والذي يكسبونه من خلال عملهم (٢٠) .

وقد درست الادبيات الاقتصادية والسوسيولوجية في الآونة الاخيرة الدور الحقيقي للاقتصاد المنزلي الفردي في حياة سكان الارياف والتمايز بين عمال السوفخوزات وفلاحي الكولخوزات حسب أشكال اجرة العمل وارتفاعها.

لا يعتبر اقتصاد المنزل الفردي حسب نتائج الابحاث ، عاملا خاصا وأساسيا للتمايز بين أوضاع الفلاحين الكولخوزيين والعمال في قطاع الدولة الزراعي .

ينتشر هذا الاقتصاد بين فئات سكان الارياف لبشمل

عمال وموظفـــي معامل ودوائر الدولة فـــي القرية .
ان الوضــــع المادي للفلاحــين الكولخوزيين وعمـــال السوفخوزات ، محدد بأجر العمل المتفاوت فـي الانتاج ، وباختلاف طابع العمل وبمستوى التأهيل المهني .

في الظروف الراهنة لكتابة التاريخ، يدرس الميكانيكيون كأكبر فئة اجتماعية ـ وحسب علاقاتها ـ قائدة للفلاحين، ويعتبر هذا اساسا لدراسة مثقفي الارياف (٢١) .

يكتسب تحليل حركة سكان الارياف الاجتماعية معنى كبيرا . وبينت الابحاث حركة واسعة لسكان الاريـــاف وحدودا «مفتوحة» بين الطبقات والجماعات الاجتماعية (٢٢). فالشغيلة يبدّلون الكولخوز بالسوفخوز او المعمل ، ويتم العكس ايضا . فيشغل اشخاص ذوي عمل قليل التأهيل مجموعة الشغيلة المؤهلين تدريجيا . ويعتبر الشباب اكثر الناس حركة . لقد عمّق تطبيق المناهج السوسيولوجيـــة ـ العيانية دراسة القوى العاملة الاحتياطية في القرية . ووجد ذلك تعبيرا له في تحليل اسباب هجرة سكـــان الارياف . ولوقت قصير كان التركيز يتم على الاسبـــاب الموضوعية بصورة رئيسية (٢٣) .

لقد وضع السوسيولوجيون النوفوسيبرسكيون برنامج عمل يراعي العوامل الذاتية ، ووجد هذا البرنامج تعبيرا له في تحليل الدوافع السوسيوسيكولوجية التي تحدد ايضا حركة سكان الارياف (٢٤) .

بالاعتماد على الابحاث السوسيولوجية ـ العيانيـــة

ومناهجها ، بدأت السيكولوجيا ورؤية سكان الارياف تأخذان مكانا ابرز في التحليل .

فلم تعر هذه المسائل في الأدبيات التاريخية والاثنوغرافية ، حتى الستينيات ، الا القليل من الاهتمام.

لقد مكن تطبيق مناهج الابحاث السوسيولوجية من خلال صياغة صحيحة وبالدقة الحسابية ، دخول مجال الوعي والسيكولوجيا .

لقد حصل السوسيولوجيون السوفيات من خلال تحليلهم الجوانب الروحية لسكان القرية ، بالاستناد لمقابلات معمقة ، على مادة قيمة لاهداف حياة شغيلة الكولخوزات والسوفخوزات وتوجهاتهم القيمية (٢٥) .

وتبين أن مصالح سكان الارياف المادية لا تتناقض مع المصالح الاخرى (على سبيل المثال : الطموح نحو عمل غني المحتوى) . انهم يطمحون لوسائل الرفاه المادي ، التي يتطلبها ارضاء الحاجات الضرورية . ولا يقاس الرفاه المادي بالعدد الزائد من الصناديق المنتجة ، وانما بأثاث البيوت الانيق والالبسة الجميلة .

ان المستوى العالي لرفاه الفرد المادي كما يفهمه الناس المحيطين بهذا الفرد هو التعبير الملموس عن جهود العمل الفردي وبعض القيم الجمالية (الفرح بما هو جديد) .

ومن خلال تحليل خطط حياة سكان الارياف تبين مدى

الاحترام الذي يكنونه للتعليم والتأهيل . وينطبق ذلك على الشبيبة بصورة خاصة (٢٦) . وتوصل الى هذه النتائج سوسيولوجيون من مناطق البلاد المختلفة . ان الابحاث التي أجريت على كافة مجموعات المهن الاجتماعية لسكان الارياف، بينت أن توجهات الحياة والمعايير الخلقية تتشابه بما هو رئيسي وجوهري .

لقد نشرت في السنتين او الثلاث الاخيرة ، دراسات خاصة حول علاقة فلاحي الكولخوزات وعمال السوفخوزات بالعمل . ويدعو ذلك للسرور لان علاقة عمال الصناعة بالعمل درست وبشكل واسع منذ أمد بعيد . لقد حلل السوسيولوجيون الاورلوفسكيون Orlowsker علاقة شغيلة السوفخوزات بالعمل (٢٧) ولم يقتصر في هذه الابحاث على المقابلات مع عمال السوفخوزات ، وانما قورنت أقوال الافراد بوفائهم بالانتاج ، بكيفية عملهم ، بمشاركتهم بالترشيد وبتحسين تنظيم العمل .

لقد أجريت تجربة لبيان درجة اهتمام فلاحي الكولخوزات وشغيلة السوفخوزات بادارة الاقتصاد . تبين من خلالها ان علاقة سكان الارياف بالملكية الاجتماعية تتعلق بأسلوب العمل الممارس . يظهر في السوفخوز كما في الكولخوز درجة الاهتمام العالي للاستفادة من الارض ، التقنية وتحسين الانتاج بين الميكانيكيين ، البنائين ومعاوني الادارة ، وعلى درجة أقل بين مربي المواشي ورؤساء المجموعات . ويزداد الاهتمام بقيادة الاقتصاد مع ارتفاع

المستوى التعليمي والاعلامي حول وضع الاقتصاد وما يدور حوله من أمور (٢٧) .

وأجريت تجربة ايضا في دراسة اكثر ملموسية ، لمشاركة فلاحي الكولخوزات بادارة «الارتلات Artels ـ الآرتل هو شكل لاتحاد المنتجين الصغار التعاوني في الاتحاد السوفياتي . فالآرتل الزراعي هو الشكل السائد في الاقتصاد التعاوني في الاتحاد السوفياتي . ويقوم على ملكية الدولة للارض ، وسائل الانتاج التعاونية ، العمل الجماعي وملكية الانتاج (لجنة التحرير الالمانية) .

لقد تم النظر الى نشاط فلاحي الكولخوزات بالارتباط مع أسلوب ممارستهم ، وأعمارهم وتعليمهم (٢٨) . ونوه برنامج بحث السوسيولوجيين في معهد التربية ، الأورلوفسكي ، لتلك المسائل الجديدة في كتابة تاريخ القرية ، كالعلاقات المتبادلة بين الناس في الانتاج الجماعي، بين الناس وبين الاصدقاء ، وتأثير الراي الاجتماعي على سلوكية سكان القرية .

ويهم المؤرخ دوما أشكال التنظيم وأجور العمل في الكولخوزات . ومن المؤسف حتى الان ان لا نتمكن من كشف تأثير هذه الاشكال على سيكولوجية وأيديولوجية سكان الارياف الا بصورة محدودة .

لم يمكن تطبيق مناهج الابحاث السوسيولوجية ـ العيانية مجموعة العلماء الستراقروبولسكيين من دراسة تأثير التعليم على مجموعات مزارعي الحقول ، وتثبيت

تعاونيات مربي المواشي ، والاستفادة من العلاوات للعمل المقطوع او العمل بالقطعة على انتاجية العمل او كلفة الانتاج الاساسية فحسب ، وانما على الجوانب الروحية لفلاحي الكولخوزات وعلى علاقاتهم المتبادلة في التعاون ايضا (٢٩) .

ومن خلال هذه الابحاث تم التوصل إلى نتائج هامة في مجالات الثقافة والحياة اليومية والعلاقات العائلية في القرية . وحتى الان لم تلعب هذه المسائل بين المؤرخين الا دورا ثانويا ، وعدّت تقليديا كمهام للاثنوغرافيين . ولقيت اهتماما فقط في بعض الابحاث التاريخية التي درست حياة القرية جملة (٣٠) .

ان تحليل ثقافة القرية حتى الآن تمت بشكل رئيسي في مجال بحث الاسس المادية والارشاد الثقافي للمراكز الحكومية . وتضمنت المواد الاحصائية معطيات حول المستوى التعليمي لسكان الارياف فقط (مفصلة حسب العمر والجنس) . وكانت المعطيات حول انتشار وسائل الاعلام (جرائد ، سينما ، الخ) عامة ، اي حسب المجموع العام لسكان الارياف .

ويجب التنويه ايضا ان الباحثين لم يقيّموا بشكل كاف دوما الامكانيات المتوفرة (كاحصائيات المكتبات ، الاشتراكات في الجرائد والمجلات) . وعمقت الابحاث السوسيولوجية من دراسة حياة القرية الثقافية . ووجد ذلك تعبيرا له في الوقائع التي بحوزتنا والتي تعكس تمايز المستوى التعليمي حسب مجموعات المهن الاجتماعية ، وبين المثقفين

والميكانيكيين والعمال المبتدئين . وتضمنت الاستنتاجات التي توصلت اليها الابحاث التي تمت في مناطق البلاد المختلفة نتائج متطابقة (٣١) . ويتوقف التحليل الناتج لثقافة ويوميات سكان القرية على دراسة توزيع اوقات فراغ الشغيلة (٣٢) .

ومن المقارنات التي ظهرت مثمرة تلك التي تمت بين بنية اوقات فراغ الفلاحين في الظروف الراهنة مع ما كانت عليه في العشرينيات .

وتضاف لمسائل القناعات المذهبية والسيكولوجية لسكان الارياف مسألة تدينهم . وليست هذه بالمسألة الجديدة على كتابة تاريخ القرية . فمكنت الاعمال السوسيولوجية في هذه المسألة من ان توضح مدى انتشار المذهب الالحادي والتصورات الدينية بين مجموعات المهن الاجتماعية المختلفة بشكل اكثر تمايزا ، وبيان مدى تأثير العوامل الموضوعية والذاتية المختلفة لتجاوز الاحكام الدينية المسبقة (٣٣) .

ولحد كبير تبرز العائلة حاميا للتقاليد والعادات التي نشأت في المجتمع ، في هذا التجمع التعاوني او ذاك .

يعمل افراد العائلة في القرية في تجمع تعاوني واحد غالبا ، وتتوافق بذلك مصالحهم العائلية والانتاجية في كثير من الوجوه . لقد سجل الاثنوغرافيون مادة ثمينة من خلال دراستهم للعائلة ، لان حجمها وبنيتها وبعض المسائل في علاقتها الداخلية (مسائل مجلس العائلة) واكتسابها للعادات

والتقاليد تخضع جميعا لموضوع بحثهم(٢٤) .

وفهم المؤرخون مسائل العائلة ايضا ، رغم إنهم لا يقومون بأبحاث خاصة في هذا المجال ، لكنهم يستفيدون من المعارف التي راكمتها العلوم الاجتماعية الاخرى . لقد وسع السوسيولوجيون بحثهم للعائلة في الريف . ويشهد مقال م. ج بانكراتوفا Pankratowa «خبرات البحث السوسيولوجي في علاقات العائلة الداخلية» على ذلك . ويستند هذا العمل على مواد البحث التي جمعت من القرية أفيفو Amnijewo قرب موسكو . وتم تحليل حياة العائلات في هذه القرية على اساس الوقائع العامة في الاتحاد السوفياتي . ومن هنا تكتسب استنتاجات المؤلفة معناها الكبير . لقد اثبتت دراستها ارتباط بنية العائلة والعلاقات المتادلة بين الاجيال بالوضع المادي للاطفال والابوين . كما يحدد مستوى الافراد التعليمي ومثلهم الحياتية الى حد بعيد الاشكال المختلفة للعلاقات العائلية .

لقد بينت المقابلات كيف ان «الادوار» التقليدية في العائلة قد تغيرت ويستطيع الانسان متابعة مهام العائلة المختلفة ، وتأثير الحياة العائلية على التطور الاجتماعي للرجل والمرأة وكذلك الاهتمام المتنامي المكرّس لتنشئة الاطفال .

لقد أغنت سوسيولوجيا القرية في وقت قصير نسبيا المبحث من خلال تحليلها الشامل لبعض المسائل كتركيب سكان القرية الاجتماعي ، وحركتهم الاجتماعية وهجرتهم

وجوانبهم السوسيوسيكولوجية وتوجهت ايضا لموضوعات اخرى كالتعاون والشخصية والمشاركة في القيادة الخ ...

. ان الاخذ بمواد بحث القرية السوسيولوجي في كتابة التاريخ وسَّع من دائرة إشكـــال المؤرخين والاثنوغرافيين التقليدية بشكل بارز ودقق بعض التصورات المتجـــاوزة وغيَّر ، بـــل وساهم بشكل رئيسي في وضع صورة اكثر كمالا للحقيقة الاجتماعية المعاصرة .

٣ ـ الحاجات الثقافية كموضوع للعلم .

ان مفهوم الثقافة متعدد المعاني ، لدرجة ان بعـــض السوسيولوجيين ذكر ١٥٠ تعريفا . وغالبا ما يصل العلماء الى الاستنتاج في ان تقسيم الثقافة الى مادية وروحية ، امر ممكن ضمن حدود . فأي موضوع (البيت ، الآلة) يوجد في وعي الانسان قبل ان يصنع . ومن اجل ايصال اية فكرة للآخرين وتصبح مفهومة لديهم ، يجب ان تتخذ شكلها المادي على شكل صورة ، تمثال وكتاب الخ ...

وطبقا لاهداف التصنيف العلمي والتحليـــل العياني ، يمكننا ـ آخذين بعين الاعتبار ما نوهنا به آنفا ـ فصـــل الثقافة الروحية عن المادية . وتعتبر الثقافة الروحية عادة موضوع بحث المؤرخين والفلاسفة والسوسيولوجيين .

فعندما نعتبر ان الثقافة الروحية هي خلق الناس القيم

الثقافية ونشرها وحيازتها ، يتضح بعدها ان الكثير من هذه المسائل قد تم تحليله منذ البدايات وحتى الان من قبل المؤرخين . وتمحورت الامور بشكل رئيسي على النشاط الارشادي للمراكز الثقافية ووضع قاعدة الثقافة المادية . ولم تزل بالمقابل ابحاث انتشار الثقافة بين الناس وتمثلها غير كاف بالمرة .

تبرهن غالبية الوقائع المادية المستخدمة في الاعمال التاريخية ، على وجود عملية جذب للشغيلة نحو الثقافة قبل اي شيء آخر . لذلك يبدو من الصعب تقييم انتشار الثقافة على هذا الاساس ، وكذلك تمثلها من قبل فئات الطبقة العاملة المختلفة او فلاحي الكولخوزات . ومن الضروري للايفاء بهذه المتطلبات ، افتتاح مصادر جديدة ورفع مستوى منهجية البحث وتقنيته ، ويمكن ان يكون تقييم نتائج الابحاث السوسيولوجية ذا فائدة جوهرية للمؤرخين .

ان جميع اعمال السوسيولوجيين التي تبحث في حجم المعلومات الثقافية المتلقاة وعمق امتلاكها ، تعتبر ضمن اهتمامات المؤرخين المباشرة . ومن المفيد لهم ايضا دراسات قنوات الاعلام المختلفة (راديو ، تلفزيون ، سينما ، صحافة) وكذلك الدراسات المتعلقة بالقيمة التوصيلية لاشكال الادب والفن المختلفة .

ان نتائج تحليل اوقات فراغ الشغيلة ، تتضمن كمصدر فائدة كبيرة . فهي تبين درجة انجذاب فئات الشعب

المختلفة نحو الثقافة . ولتحليل اوقات الفراغ في الاتحاد السوفياتي تقليدا قديما ، ففي العشرينيات طوّر س. ج سترميلين Strumilin برنامج بحث شيّق لقياس توزيع اوقات الفراغ . وواصل ج. آ برودنسكي و ف.د. بلتروتشيف عام ١٩٥٨ هذا العمل في القسم السيبيري لاكاديمية العلوم بالاتحاد السوفياتي ، فدرسا اكثر من ٤٠٠٠ شكلا لتوزيع اوقات الفراغ ، مستندة لمواد مدينية . (من المدن . ع) .

ان تحليل اوقات الفراغ الذي نظّم باشراف ب. ا. غروشين في معهد الراي الاجتماعي، شمل عمليا: مجموعات رئيسية من سكان المدينة في كافة انحاء البلاد ، ودرست اوقات الفراغ لسكان باسكو حسب برنامج عالمي . واصبح من الممكن عقد المقارنات بين النتائج المتعلقة بالمستوى الثقافي واسلوب حياة الناس السوفياتيين .

ان مفهوم وقت الفراغ هو مفهوم نسبي . فكيف نقيّم وقت التعليم على سبيل المثال ؟. هناك الكثيرون ممن يعتبرونه وقت فراغ ، وآخرون يعتبرونه كوقت عمل يضمن في المستقبل مستوى حياة افضل . يرى ج. ا برودنسكي و ب. أ. غروشين ان وقت الفراغ هو جزء الوقت خارج زمن العمل المتبقى بعد ان يطرح منه كل ما هو مرتبط بالانتاج (ارتداء الملابس ، الغسيل الخ) وزمن الذهاب والاياب لمركز العمل والشراء ، والعناية بالاطفال والنظافة الشخصية والتغذية والنوم .

وحسبما يستفيد الناس من أوقات فراغهم ، نستنبط استنتاجات لا تتطابق مع المستوى الثقافي لمجتمع ما ككل وحسب ، بل مع المجموعات الاجتماعية الفردية ايضا .

فعندما يقرأ ٩٠ بالمئة من سكان المدينة في البلاد الجرائد ، واكثر من ٧٢ بالمئة المجلات ، و٧٥ بالمئة الكتب ، ويسمع ٨٠ بالمئة تقريبا الراديو ويرى ٥٠ بالمئه بشكل منتظم البث التلفزيوني ، يصبح واضحا لن غالبية السكان تستفيد من امكانيات الاعلام الثقافية (٣٦) .

ويشهد مثل هذا الاهتمام الرفيع والدائم بالاشكال المختلفة للمعلومات السياسية ـ الاجتماعية والثقافية على حاجات الناس وعاداتهم الثقافية .

كتب ماركس أن الاستهلاك « ... نفسه كدافع من خلال الموضوع (منقول) . فالحاجة التي تدفعنا اليه ، خلقها نفس الاحساس به . فموضوع الفن ـ مثل اي انتاج آخر ـ يخلق جمهورا متذوق للفن وقادر على الاستمتاع بالجمال . فالانتاج لا ينتج موضوعا للذات وحسب ، بل ذاتا للموضوع ايضا » (٣٧) .

لدى الناس اهتمامات مختلفة بأشكال الفن المتنوعة . ويمكن الجزم على كل حال بأن الاهتمام بالمسرح منتشر كثيرا بين مجموعات الناس الاجتماعية من مختلف الاعمار ، ويعبر هذا عن العادات الثقافية لاوسع أوساط السكان . فلا يزور المسرح في السنة اكثر من ٦٢ بالمئة من المثقفين التقنيين و٤٩ بالمئة من المثقفين غير المشاركين بالانتاج وحسب ، وانما

حوالي ٣٩ بالمئة من العمال و٤٥ بالمئة من الموظفين قليلي التأهيل ايضا .

ونجد ان الاهتمام بالمسرح يزداد لدى الشبيبة (٤٧ — ٤١ بالمئة من الشبيبة بين ١٦ — ٢٩ سنة يزورون المسرح بانتظام) . وانه لامر ذو دلالة ان الاشخاص متوسطي العمر (٣٩ بالمئة تقريبا منهم يزورون المسرح عدة مرات سنويا) .

ان مقارنة توزيع اوقات فراغ الشغيلة في العامين ١٩٢٣ و١٩٢٤ بالفترة ما بين ١٩٥٩ — ١٩٦٣ ترتدي اهمية خاصة بالنسبة للمؤرخين . ومن الملاحظ ان هناك تقدما في كيفية استغلال وقت الفراغ . لقد تضاعف وقت الدراسة عدة مرات، فزاد وقت التأهيل، والوقت المخصص للثقافة العامة والتثقيف السياسي ولخصائص التعقيل والامور الجديدة . ويكرس الشغيلة جزءا كبيرا من وقتهم الى تلك الاشكال من مظاهر اوقات الفراغ ، التي لم يكن ممكنا الحديث عنها سابقا البتة ، كسماع البث الاذاعي ورؤية الارسال التلفزيوني ، كما ازداد الوقت المكرس للسينما والمسرح والمتاحف بشكل جوهري ايضا (٣٨) .

ان فهم اتساع الحاجات الثقافية واهتمامات وعادات السكان من خلال تحليل بنية أوقات فراغ الشغيلة ، يوضح المستوى العالي نسبيا لاوسع فئات سكان الاتحاد السوفياتي .

ان الابحاث السوسيولوجية — العيانية التي بينت في مسارها اهتمامات السكان في مؤلفات حول الفن والفن

السينمائي والادب الخ ، تؤكد مثل هذا الاستنتاج بصورة جلية .

لقد وصل سوسيولوجيو ايستلاند من خلال استمارات ٢٤٢٠ شخصا من سكان المدن ، إن ٨٨ بالمئة منهم يقراون الادب الرفيع . والقراء على معرفة جيدة بالمؤلفات الكلاسيكية للادب الروسي وشعوب الاتحاد السوفياتي الاخرى بشكل عام .

ومن اشهر الكتب رواجا لديهم مؤلفات بوشكين ، تولستوي ، شفتشنكو ومؤلفات الكتّاب السوفييت امثال غوركي ، شولوخوف ، سمنوف ، لازيس ، ايتماتوف ، بياليتيش ، وجمزاتوف .

كما بينت الابحاث اهتمامات مستمعي المذياع من ان النسبة الكبرى بينهم : ٩٣ بالمئة يتابعون الاخبار ، ٨١ بالمئة يسمعون الموسيقى . وتجدر الاشارة الى ٣٨ بالمئة منهم يهتمون بالموسيقى الهادئة .

أعطت نتائج الابحاث للفن السينمائي ، ان تقييم اي فيلم يختلف بين فئة من السكان واخرى . واكدت استفتاءات أجراها سوسيولوجيو موسكو ، ان فيلمي «الملكة والمحطة» و«نسافر نسافر» حققا نجاحا كبيرا بين اوساط العمال ، بينما كان نجاحهما قليلا بين المثقفين .

ولكن الواقع الأهم ان الافلام ذات المحتوى الاجتماعي والتقنية الفنية العالية مثل «المأساة المتفائلة» ، «يبقى كل شيء للانسان» ، «الأحياء والاموات» ، «دم الوطن»

و«الهدوء» تتمتع بنفس القدر من التقييم بين جميع فئات السكان من مختلف الاعمار . ان الافلام ذات الاتقان الفني الكبير والمحتوى المعاصر تثير اهتمام جميع الناس .

ان الانتشار الواسع للثقافة في الاشتراكية مرتبط بنمو الاهتمامات الروحية لجماهير الشغيلة . ويمكن للانسان ان يحدد تطور التقدم الثقافي حسب كلمات «برتولد برشت»، كتوسيع للدائرة الصغيرة جدا التي كانت سابقا لـ «رجال الاختصاص والعارفين» . وتتحدد المعرفة العامة لحاجات الشغيلة الثقافية من خلال تحليل الاهتمامات والحاجات الثقافية لمجموعات السكان الميانية . ويقدم البحث السوسيولوجي المادة لذلك . اظهر تحليل تجسيد اوقات الفراغ قيما متساوية في بعض الاشكال والعادات الثقافية لدى العمال والمثقفين في المدينة .

فقراءة الجريدة على سبيل المثال عادة متوازية لكلا المجموعتين (يقرأ يوميا الجرائد ٨٢ بالمئة من العمال ، ٩٠ بالمئة من المثقفين و٨٥ بالمئة من الاشخاص ذوي الاعمال التي لا تحتاج تأهيلا عقليا عاليا) . ويقرأ كتبا عدة مرات اسبوعيا ٧٠ بالمئة من العمال ، ٨٣ بالمئة تقنيين مثقفين و٧٠ بالمئة من المثقفين غير المرتبطين بالانتاج وكذلك ٦٠ بالمئة من الموظفين (٣٦) .

عالجت بعض الابحاث عادات العمال الثقافية خاصة .

ففي الابحاث التي اجريتاها ل. ب تشورنيا و ا.ك

ميلشنوفا حول نمو الحاجات الجمالية والاهتمامات الفنية بين العمال ، ذكرنا معطيات حول عدد القراء المتزايد للادب الرفيع ومشاركة العمال الكبيرة في النشاطات الفنية الذاتية ، واهتمامهم بالموسيقى والفن التشكيلي والمسرح . ولا تقل اهمية عن ذلك ايضا المواد المتعلقة بأذواق القراء (٤٠).

وسجلتا رغبات العمال بأنواع الادب المختلفة من كلاسيكي ، مغامر ، علمي فني وتاريخي ، والاهتمامات الفردية لمجموعات الشغيلة بالاقسام الاعلامية المختلفة للصحف .

تقيم الابحاث السوسيولوجية ـ العيانية الوقائع المتعددة للثقافة المادية ، التي تطبع الحاجات الروحية لاوساط السكان المختلفة . ان وجود المكتبات والراديو والتلفاز واللوحات والصور والبيانو والآلات الموسيقية الاخرى ضمن الحاجات المنزلية يدل على اهتمامات الفرد ويحدد لدرجة ما نشاطه المهني .

يرتكز معنى الابحاث السوسيولوجية ـ العيانية في انها تسمح برؤية القضايا المعقدة ، خلف النسب العالية لانتشار الثقافة التي تميز الاتحاد السوفياتي وتتطلب انتباه الحزب والدولة .

فهناك اقل من ٤٥ مليون انسان خلف رقم الـ ٩٠ مليون زائر مسرح سنويا ، والى جانب ملايين الرياضيين ، في البلاد هناك الكثيرين جدا ممن يجهلون التعامل بمفهوم التربية البدنية . ليست مظاهر أوقات الفراغ لسكان المدن

الصغرى بمتعددة كما هي الحال عند اهالي موسكو او سكان المدن الكبرى الاخرى .

يذهب ، على سبيل المثال ، سكان المدن الصغرى بالمقارنة مع اهالي موسكو اقل بـ ٦ر٠ ضعفا الى المسرح ويشاهدون البرامج التلفزيونية اقل بخمس مرات ويزورون المتاحف والمعارض اقل ٣ر٦ ضعفا وهناك فرق بارز بالاستهلاك الثقافي بين مجموعات العمر . فالاشخاص متوسطي الاعمار ، ذوي العائلات والاطفال يتمتعون بوقت فراغ اقل ونادرا ما يستغلون النزوات الثقافية المتاحة .

تعطي الحاجات المادية والثقافية وعادات السكان ، اساسا لتوسيع الافكار حول مسألة امتلاك الثقافة . ان امتلاك المعلومات يحدد لدرجة بعيدة طابع الحاجات الثقافية لاعضاء المجتمع بشكل واضح . لذلك نعتبر حسب مفهومنا ان النسب العالية للزيارات المنتظمة للمسرح والسينما وقراءة الادب الرفيع ، احد الدلائل على امتلاك قيما روحية .

فكلما زادت قراءات الفرد ، زاد تردده على المسرح والسينما ، وتطورت وتثبتت درجة اهتمامه بالقيم الثقافية. وكلما كان الانسان قويا متعدد الجوانب في عمله وذا مظهر نشيط في اوقات الفراغ ، كلما كان عالمه الروحي غنيا ومتكاملا (٤١) .

ويدفع نظام «القيم» التابع لمفهوم الثقافة على سلوكية متعددة في المجتمع .

وحسب هذا النظام يتم تقدير مظاهر القيم في نشاط الافراد وانعكاسها في مجال الدعاية ووسائل الاتصال الجماهيرية . ومثل هذا الامر مباح ، لان العقيدة والتقاليد الخلقية تجد تعبيراتها في السلوك البشري ، كما انه من المسلم به ان للنفسية مجالها الخاص في الحياة الاجتماعية.

لا تتطابق سلوكية الافراد دائما مع تصوراتهم وعاداتهم لتعلقها ايضا بالظروف الملموسة ، فنجد لزاما علينا تحليل المثل الحياتية والرغبات والمبادىء الخلقية خاصة ، رغم تعقد طرق دراستها . فعندما يحلل المؤرخون الحياة الاجتماعية والثقافية للشغيلة ، يضيفون بذلك اعملهم الابحاث القليلة للسوسيوسيكولوجيين .

درس ف. ب اولشانسكي في احد معامل موسكو مثل الحياة عند العمال ومبادىء سلوكهم من خلال مشاركته المباشرة في عمل مجموعة انتاجية (عمل شهرا كاملا في احد اقسام الحدادة ، وقوّى من علاقاته الرفاقية معهم وزارهم في بيوتهم ، ذلك يعني اخذ ملاحظات اخرى مباشرة اثناء زياراته) .

لقد بيّن هذا البحث ، ان اهداف العمال الحياتية تحملها بصورة رئيسية ، الرغبة في العمل الممتع والعائلة السعيدة . ويسيطر هذا التوجه على العدد الاكبر من اعضاء مجموعة العمل . وفيما يتعلق بالمبادىء الخلقية ، فهم يقدرون الضمير الحي عاليا .

واكد بحث «اتجاه القيم» للشبيبة العمالية اللينينغرادية

ان الشغيلة يقدرون العمل الممتع اكثر من العمل الاعلى أجرة. ووصلت بعض استمارات سكان قرى منطقة موسكو لنتائج شيقة .

فعلى احدى عشر جوابا للسؤال «ماذا تعني الحياة الجيدة بنظرك ؟ ، اجمع ٥٠ بالمئة من المستفتين على الاجابات التالية : «ان تملك عملا جيدا وممتعا» ، «ان تعيش حياة عائلية سعيدة» ، «ان تعيش برفاه وأمان» . ولم يتجاوز عدد الذين اختاروا الجواب «ان تكون غنيا» الـ ١٠ بالمئة (٤٢) .

تفتح المناهج السوسيولوجية ـ العيانية امكانيات لمصادر تطبع ثقافة الشغيلة بشكل كامل ، وتشهد على امتلاك الناس السوفياتيين للثقافة والى حد ما درجة تفكيرهم ومبادئهم الخلقية واهتماماتهم . فعندما يحلل العلماء ثقافة مجتمع ما في هذه الفترة او تلك ، يهتمون في الفن ، الادب ، نظام التعليم والافكار والاخلاق الاجتماعية، وترى ثقافة المجتمع بالتحليل الشامل في مغزاها القيمي.

وبالقدر الذي يستخدم فيه الباحثون الدلائل المتنوعة، يتمكنون من تقدير مستوى التطور الثقافي لهذا المجتمع في هذه الفترة التاريخية او تلك . وهناك دليل هام لتمييز المرحلة الثقافية المعاصرة ، يتمثل بنسبة اصحاب العمل الذهني لمجموع السكان ، اي نسبة المثقفين . ومن الجانب الفكري يتواجد اشخاص أذكياء بين العمال وكذلك فلاحي الكولخوزات .

وفي مجرى الحديث لا نعني بهؤلاء الناس ، فئة اجتماعية خاصة بالمجتمع ـ المثقفين ـ بالمفهوم العلمي الدقيق .

غالبا ما طرح السؤال في الادب الفلسفي والسوسيولوجي عن حدود هذه الفئة الاجتماعية ومقاييسها النوعية ، والتي يحددها المجتمع الاشتراكي حسب بنية المثقفين وملامحهم العامة والخاصة ، بالمقارنة مع مجموعات اجتماعية اخرى ، وترتدي هذه المسائل كذلك اهمية مميزة لدى المؤرخين . ولفترة طويلة اعتبر كل من يمارس عملا ذهنيا من المثقفين . فانتشر مثل هذا المفهوم ايضا في مؤلفات العلوم الاجتماعية بشكل واسع . وعلى هذا الاساس اعتبر الشغيلة قليلي التأهيل ، والذين يؤدون عملا ذهنيا في الغالب مع المثقفين . ومن الواضح انه لم تؤخذ الفروق المختلفة للاعمال الذهنية بعين الاعتبار .

يحسب السوسيولوجيون الاشخاص ذوي الاعمال التي تحتاج لتأهيل فكري ويمارسون عملهم على هذا الاساس ، ويعتبر هذا العمل اساس وجودهم ، في عداد المثقفين (٤٣).

غالبا ما يستخدم في المصادر الاحصائية مفهوم «الموظفين» ، ليشمل بشكل عام الى جانب المثقفين ، الاشخاص ذوي العمل الذهني قليل التأهيل او بدون تأهيل .

وتحت «موظفين» يفهم بالمعنى الضيق للكلمة تلك الفئة من الشغيلة فقط ذات العمل الذهني قليل التأهيل او بدون

تأهيل ويتميزون عن المثقفين من خلال طبيعة العمل .

فعمل الموظفين يحمل طابعا ابداعيا قليلا ولا يتطلب تعليما طويلا وخاصا ، وهناك فرقا في أجر العمل بين الموظفين والمثقفين . فيملك المثقفون السوفييت نفس الملامح العامة التي نجدها لدى الطبقة العاملة وفلاحي الكولخوزات. فلهم كما للعمال نفس العلاقات بوسائل الانتاج ، ولا يختلفون عنهم ايضا في مبدأ توزيع الثروات المادية والروحية ، وتجمعهما كذلك ايديولوجية ، اهداف ومهام البناء الاشتراكي والشيوعي .

ويتميز المثقفون عن العمال وفلاحي الكولخوزات بصورة خاصة بدورهم في توزيع العمل الاجتماعي . لقد ابرز م. ن روتكيفيتش ذلك الدور بحق ، على انه لا يتعلق بكافة المثقفين ، وانما بأشخاص كلفهم المجتمع ان يفوا تنظيميا بمهامه المطروحة (٤٤) .

يحلل السوسيولوجيون البنية الاجتماعية للمثقفين اولا، ومن ثم يأخذون مجال العمل وشكل الممارسة بعين الاعتبار. ونجد انه من الصواب تقسيم المثقفين حسب مجال ممارستهم في مجال ملكية الدولة او الملكية التعاونية ، وتشكل نوعية الممارسة الاساس في مجموعات المثقفين المختلفة . ويعتبر بعض السوسيولوجيون ان تقسيم المثقفين الى اقتصاديين ـ تقنيين ومهتمين بالثقافة ـ العلمية وكذلك عاملين في قيادة الدولة والمنظمات الاجتماعية ، كافيا تماما (٤٥) .

ويعطي آخرون تجمعات اكثر تفصيلا ، فيقسمون المثقفين الى مثقفي ادارة ، مثقفي علوم وكذلك الى عاملين في مجال الادب والفن ، والى ما يسمى بمثقفي الجماهير حيث يعد المعلمون والاطباء الخ .. من بينهم (٤٦) .

فدراسات السوسيولوجيين العيانية حول ازالة الفروق الرئيسية بين العمل الفكري والجسدي ، تهتم باتجاهات التطور الرئيسية لكل مجموعة اجتماعية على حدة . ويعير الباحثون اهتماما كبيرا للاصول التي ينحدر منها المثقفون ، ولموضوع البحث هذا جانبا سياسيا مباشرا .

فمن المعروف الزعم الذي يحمله الادب البورجوازي حول مواجهتنا لبنية اجتماعية «ثابتة» ، يصعب على الانسان فيه أن يبدل مجموعة اجتماعية بأخرى . لذلك نجد انه من الهام جدا بيان الحركة الاجتماعية في بلادنا على ضوء المواد الملموسة . من خلال تحليل المؤرخين لنشأة المثقفين تبرز قبل كل شيء أصولهم الاجتماعية وتغيراتهم العددية ضمن كل مجموعات الاخصائيين . ويستعرض الاصل الاجتماعي عادة فقط في السنوات الاولى للسلطة السوفياتية او فترة الخطة الخمسية الاولى .

وتنقص المؤرخين الوقائع العامة حول تركيب المثقفين لدراسة فترات تاريخية اخرى . لكن السوسيولوجيين يجدون انفسهم في وضع افضل ، اذ يحصلون من خلال دراستهم على مصادر تمثيلية كثيرة ، يستطيعون على

اساسها ان يقيموا التغيرات بين الطبقات وداخلها . وحتى الحسابات البسيطة المستندة للاحصاءات الديمغرافية العامة تدلنا على ان المثقفين ليسوا بفئة مغلقة على نفسها. ويعتبر نمو المثقفين ظاهرة مميزة للاتحاد السوفياتي . وعلى كل حال تنجب ٥٠ بالمئة تقريبا من عائلات المثقفين والموظفين طفلا واحدا ، و٤١ بالمئة من هذه العائلات طفلين. لذا لا يستطيع المثقفون انتاج انفسهم حتى ولو تبع جميع اطفال هذه الفئة مهنة والديهم .

ان معدلات درجة التعليم العالي مكنت من الحركة الاجتماعية لمثلي جميع فئات السكان . ومن الطبيعي ان لا يحدد التعليم لوحده طريقة حياة الفرد ، بل ان السكن والمحيط الثقافي التي تربت ضمنه الشخصية ، تلعب دورا في ذلك . وتعتبر مواد الابحاث السوسيولوجية ـ العيانية هامة لانها تشكل انطباعا للتغيرات الاجتماعية في المجتمع . ولقد أجريت مثل هذه الابحاث في المعاهد العلمية العليا والمدارس العليا في معامل الاورال الكبرى . وبينت هذه الابحاث بشكل واضح ان جميع مجموعات المثقفين (العلمية، الادارية ، المهندسين التقنيين) تنحدر من اولاد العمال والفلاحين والموظفين (٦٠) .

بينت الابحاث السوسيولوجية لمعهد الاثنوغرافيا في اكاديمية العلوم السوفياتية لمنطقة التتار بوضوح ان القرية السوفياتية تتميز ايضا بتبدلات اجتماعية نشطة ، فتجري الحركة في القرية دونما عائق بين قطاع الدولة والقطاع

التعاوني وكذلك بين فئات المهن الاجتماعية ، ويشكل الفلاحون جميع مجموعات المهن الاجتماعية في القرية .

وحسب مواد هذه الابحاث يتحدد ٩١ بالمئة من القادة واخصائيي المستويات العليا في الكولخوزات من عائلات فلاحية ، وكذلك ٨٣ بالمئة من قادة واخصائيي المستويات المتوسطة ، و٩١ بالمئة من الموظفين و٩٦ بالمئة من الميكانيكيين . ووجد ان ٥٧ بالمئة من قادة واخصائيي المستويات العليا في السوفخوزات و٦٧ بالمئة من قادة واخصائيي المعامل ومنشآت القرية اولاد فلاحين . وجاءت نسبة العاملين من الجيل الثاني في هذه المجموعات ١٠ الى ١٥ بالمئة ويعتبر تحليل خطط الشبيبة الشخصية شيقا ايضا . فمكانة التعليم تقدر عاليا لدى جميع المجموعات الاجتماعية . وحسب معطيات السوسيولوجيين النوفوسيبرسكريين ، استعد ٨٣٫٥ بالمئة من طلاب المدارس في المدن و٦١٫٧ بالمئة في القرى للدراسة في المدارس العليا عام ١٩٦٥ ، ولم تكن الخطط الشخصية تعبيرا عن الرغبة وحسب ، بل كانت مشاريع يسعون لتحقيقها (٤٧) .

ان مثل هذه المشاريع لا تميز اولادا من اوساط المثقفين فقط ، وانما اولاد العمال والفلاحين والموظفين ، وتعبر عن التصورات الراسخة حول الامكانيات الكبيرة للحركة الاجتماعية في المجتمع السوفياتي .

٤ ـ امكانيات جديدة في دراسة المسائل القومية .

للابحاث السوسيولوجية ـ العيانية أهمية مضاعفة في المسائل القومية : فهي تساعد على توضيح أشمل للتأثيرات الاثنية الجزئية على البنية الاجتماعية للامم وسكان الجمهوريات ، والتأثيرات الاجتماعية والعوامل الديمغرافية على الثقافة والتغيرات في سيكولوجية الامم (ومن ضمنها الوعي القومي) واللغات القومية . يكتسب تأثير الملامح القومية على الحالة الاجتماعية والتحرك الاجتماعي للافراد مغزى سياسيا وعلميا كبيرا .

وكرست الكثير من المؤلفات التاريخية ـ العلمية والفلسفية للسياسة القومية اللينينية . وتتجلى تغيرات بنية السكان الاجتماعية في نتائج تطور القوميات والجمهوريات الاجتماعي ـ الاقتصادي والثقافي.

فالتصنيع والتقدم التقني في الصناعة والزراعة وكذلك عملية التحضر أدت لزيادة سكان المدن ، وزيادة العمال والموظفين في الجمهوريات ، وارتفاع نسبة العمل الفكري وتغيرات إجتماعية اخرى . ويقدم البحث السوسيولوجي للبنية القومية الاجتماعية صورة واضحة عن مساواة الامم الحقيقية .

لقد اتخذ السوسيولوجيون اولى الخطوات الهامة ، فأعد قسم الابحاث السوسيولوجية ـ العيانية في معهد الاثنوغرافيا في موسكو ولينينغراد منهجا لدراسة البنى

الاثنية ـ الاجتماعية للسكان آخذين الخلافات بين الطبقات وداخلها بعين الاعتبار . فأجري في جمهورية التتـار السوفياتية بحث نموذجي . وحسب نتائج هذه الأبحـاث فان حركة الاشخاص الاجتماعية والمنتمين للقومية السائدة اكثر من حركة ممثلي القوميات الاخرى التي كانت متطورة اكثر في الماضي . ان ذلك يعني ان حركة التتار الاجتماعية في جمهورية التتار الاشتراكية السوفياتية في المدينـة والريف اوسع مما هي لدى الروس المقيمين في هـذه الجمهورية .

وفي الظروف الراهنة التي تم فيها التغلب على التخلف القديم ، تطبع حالة الناس الاجتماعية عوامل مثل التعليم ، شروط التربية وسيادة اللغة الروسية ، وارتباط هـذه الحالةبالانتماء القومي قليل جدا (٤٨). وهذا دليل لا يدحض على صحة السياسة القومية اللينينية .

ان استخدام مناهج البحث السوسيولوجي في تحليل العمليات الاثنية له تاريخه . فمنذ سنوات يستخـدم الاثنوغرافيون في ابحاثهم الميدانية ، المقابلات والاستمارات في دراسة التقاليد وحياة القوميات اليومية .

وحتى فترة قريبة أجريت تحاليل عيانية من قبـل اثنوغرافيين ، لكنهم لم يقوموا قط بأبحاث سوسيولوجية. وللبحث السوسيولوجي ـ حسبما نوهنا سابقا ـ موضوعه الخاص ومنهجه التحليلي المميز . ومن الطبيعـي ان لا يستغنى عن الابحاث الاثنوغرافية الميدانية .

فالتجارب المتراكمة لديهم تشكل اساسا مثمرا لعمل مشترك ناجح بين السوسيولوجيين والاثنوغرافيين لتطوير اثنوسوسيولوجيا معاصرة . لقد بدىء في الابحاث الاثنوسوسيولوجية ـ العيانية في وقت متأخر عن الابحاث في مجالات العمل وأوقات الفراغ وغيرها .

لقد أجريت أولى الابحاث الاثنوسوسيولوجية في الاعوام ١٩٦٤ ، ١٩٦٥ حول مسائل العلاقات القومية من قبل مساعدين في كلية علوم ايستلاند ومعلمي المدارس العليا والعاملين في الحزب في ليتوانيا ومن معهد التاريخ في اكاديمية العلوم في الاتحاد السوفياتي بالتعاون مع جامعة موسكو في بيلوروسيا وأكرانيا ومولدافيا وكازاخستان وجمهوريات أخرى . وكانت هذه الابحاث معبرة عن مواضيع بحثها الملموسة فقط (لبعض مجموعات السكان ، مجموعات التعاون في معمل وسكان قرية) . فالابحاث التي أجريت في جمهورية التتار الاشتراكية من قبل سوسيولوجيي معهد الاثنوغرافيا في اكاديمية العلوم في الاتحاد السوفياتي ، كانت معبرة عن الجمهورية بكاملها .

ان احدى مهام الابحاث الاثنوسوسيولوجية هي دراسة العلاقات المتبادلة بين القوميات . لقد وصف المؤرخون والفلاسفة في الماضي وبشكل رئيسي ، العلاقات الحكومية بين الجمهوريات ، والاحتكاك الثقافي والعلاقات الاقتصادية والمساعدة المتبادلة بين التعاونيات في مختلف الجمهوريات.

لا يعبر عن العلاقات بين القوميات من خلال الاحتكاك بين المؤسسات الحكومية والمنظمات الجماهيرية ، وانما بالعلاقات بين ممثلي القوميات والشعوب . ومواضيع مثل هذه العلاقات الشخصية هم الناس الذين يختلفون في وعيهم القومي وتضامنهم الوطني وثقافتهم وسيكولوجيتهم ولغتهم . ومن المؤسف ان مثل هذا الاحتكاك الشخصي لم يدرس حتى الآونة الاخيرة . وادى ذلك الى دراسة وحيدة الجانب لحل المسألة القومية في الاتحاد السوفياتي . ومن خلال العلاقات المتبادلة بين الناس من مختلف القوميات ، تبرز الاممية كمذهب ومعيار لسلوكية الناس .

وتدرس العلاقات القومية الشخصية في مواقف الناس القومية . ففي الادب السوسيولوجي يفهم تحت موقف «الاستعداد للعمل» في هذا الظرف الملموس او ذاك .

قبل ان يعمل الانسان يفكر في اهداف سلوكه ونتائجه، ويبحث في تجاربه عما يوازيه ويحلل كيف سيفهم فعله ممن معه من الناس ، وللنفسية الفردية الفطرية تأثير على تشعبات السلوك .

ونجد تبعا لذلك ان قناعات الناس ، مفاهيمهم ، آراءهم ، تركيبهم العاطفي وبعض «لحظات السلوك الهامة» ـ الاستعداد والرغبة العملية في الفعل ـ راسخة في تكوينهم .

ان تكوين المواقف ايضا يتم في الظروف العامة التي تقررها الحالة الاقتصادية والسياسية ـ الاجتماعية في

البلاد وكذلك ظروف حياة الناس الملموسة المحددة بملامح شخصية. تشكل المواقف القومية الاساس في التوجهات الوطنية للافراد . ومن الخطأ ان نحكم على نظرة شخص وسلوكيته من خلال موقفه فقط .

فالانسان الذي يفكر على سبيل المثال من خلال قناعاته (توجهاته) أمميا ، لا يستطيع ان يمارس في بعض الحالات الملموسة طبقا لهذه القناعات . وقادت سياسة لينين القومية ، الغالبية العظمى من الناس السوفييتيين لنظرة اممية وقواعد سلوك أممي .

وتقدم نتائج البحوث التجريبية ، التي اجريت في مناطق مختلفة من بلادنا، دليلا مقنعا على ذلك (بيلروروسيا، مولدافيا ، اكرانيا) واتضح ان هناك علاقات جيدة بين الامم لدى ٧٠ — ٩٠ بالمئة من الناس (جاء الذبذبات من المناطق المنعزلة والمجموعات الاجتماعية (٤٩) . واكد ذلك ، البحث النموذجي الذي أجري في جمهورية التتار الاشتراكية . فبين التتار هناك ما مجموعه ٤ بالمئة من سكان المدن و٢ بالمئة من سكان القرى لهم مواقف قومية سلبية (مواقف سلبية بالنسبة للاحتكاك بالانتاج ، والعلاقات العائلية والرفاقية) ، ان ذلك يعني انهم يفضلون الانغلاق القومي . ولوحظ مثل هذا الموقف لدى الروس بين ما مجموعه ٢ر٨ بالمئة من سكان المدن و١ر٨ بالمئة من سكان القرى (٥٠) .

ورغم وجود الجو المناسب للعلاقات بين القوميات لا

زالت تتمايز التوجهات القومية ، والتعاطف او التنابذ وامزجة بعض مجموعات السكان او الشخصيات .

بماذا تحدد العلاقات القومية المتبادلة ؟.

تحدد قبل كل شيء من خلال ظروف البلاد السياسية – الاجتماعية . وتتأثر ايضا بظروف الحياة الملموسة ، المحيط والملامح الشخصية (مميزات الجنس ، العمر ، التعليم ، المهنة الاجتماعية الممارسة ، التوجه القيمي والعقيدة) .

بينت الابحاث في جمهورية التتار الاشتراكية ، ان تأثير الفروق بين شروط حياة المدينة والريف على مواقف الافراد القومية اقل من تأثير الفروق في مهنهم الاجتماعية ، وكذلك هناك فروق حسب الجنس في نفس مجموعات العمر والتعليم .

ومواقف النساء والرجال القومية ليست قوية بمجموعها (الفرق حوالي ٢ بالمئة) .

يتمايز الرجال والنساء ، الذين يمارسون طبيعة عمل مختلفة ولهم مستوى علمي مختلف بمواقفهم القومية .

ما هي ظروف النشاط المهني التي تؤثر في المواقف القومية ؟ ان الشغيلة الذين يغلب على ممارستهم العمل اليدوي ، يتمتعون بتعليم منخفض عادة وبإلمام قليل بالثروة الثقافية ، ويحصلون على معلومات أقل بالمقارنة مع الاشخاص الذين يغلب على ممارستهم العمل الفكري . وينطبق ذلك بصورة خاصة على الاشخاص ذوي العمل غير

المؤهل .

ان لدى جزء من هؤلاء الناس أحكام قومية مسبقة بصورة مستمرة نسبيا ، يوضحها الاحتفاظ بالعادات والتقاليد البطريركية ، (الابوية).

ولضيق أفق المثقفين القومي اسباب اخرى كليا . وتتخلل الامية حياتهم بصورة اقوى ، لكنهم يبقون بنفس الوقت ـ من خلال مستوى تعليمهم العالي ونشاطهم في تطوير القيم الثقافية القومية ـ حاملي الوعي القومي .

ان عملية التمدن المتسارعة موضوعيا ، ومساواة ظروف حياة الشعوب المختلفة واممية الثقافة ، يراها بعض ممثلي المثقفين من الشعوب مهضومة الحقوق سابقا على انها فقدانا للخصائص القومية ، وحساسية المثقفين اشد عند تقيم الماضي التاريخي .

ان مستوى التعليم العالي يدفع بعيدا في آمالهم الاجتماعية . لكن هذه الآمال لا تتحقق دوما عند بعض المثقفين ، حيث ان هناك سلسلة من الاسباب المعيقة كفقدان أماكن العمل الشاغرة والتي يرون حقا لهم فيها في مجالات الانتاج والعلوم او الفن ، وعدم كفاية مؤهلات الاختصاص لهذا الانسان او ذاك . فشروط المسابقات على سبيل المثال ، التي تجري لدخول المدارس العليا ، ولاختيار التلامذة لمهنة ما ، يعتبرها بعض الناس انتقاص قومي عند اعلان نتيجة النجاح او الرسوب .

ان النتيجة التي توصل اليها ي. ف آرتوتيان من خلال

استقصاءاته في جمهورية التتار الاشتراكية ، ان مواقف الناس القومية مرتبطة مباشرة بتغيرات الحالة الاجتماعية (انظر الجدول ١) .

وكما نلاحظ تظهر المواقف السلبية غالبا بين المجموعات السكانية التي ساء وضعها الاجتماعي أي اولئك الذين بدلوا مجموعة عملهم ذات الطابع الفكري بمجموعه يغلب عليها طابع العمل الجسدي . وتبين ايضا ان للظروف التنافسية تأثيرها المبدئي على العلاقات القومية المتبادلة بين الافراد في كل مجموعة اجتماعية .

الجدول رقم ١

تغيرات الحالة الاجتماعية والمواقف بين القوميات

مواقف	نوعية العمل الأول	نوعيـة العمل وقت توجيه السؤال: عمل فكري	عمل جسدي
رافضة لعلاقات الصلة بين القوميات في الانتاج (بالمئة)	عمل فكري	١ر٧	٦ر١٥
	عمل جسدي	٧ر٨	٤ر١٠
رافضة لعلاقات صلة مائلية مع القوميات الاخرى (بالمئة)	عمل فكري	٩ر٦	٤ر٩
	عمل جسدي	٤ر٧	٨ر٧

ان تنظيم العلاقات القومية بين مجموعات السكـــان المختلفة يتطلب اجراءات معينة ونخص منها التربية الاممية. ويجب الإستمرار بتقوية حركة التنوير الثقافي بين جماهير العمال والفلاحين . وتبين ان فاعلية هذه الاجراءات قليلة جدا بين المثقفين . وتكون التربية بروح الاممية الموسعـــة مفيدة فقط بحالة التأثير الايديولوجي ـ الثقافي الهـــادف (رفع المعلومات الثقافية ، التي ليست تفسيرا مبسطـــا وحسب ، وانما قناعات ايضا في كيفية التربيـــة للصراع المكشوف مع بقايا الظواهر القومية) . ويأتي ضمن هـــذه الاجراءات تنظيم العرض والطلب علـــى الكادر المؤهل ، ومساواة الظروف المقبلة للحركة الاجتماعية وهكذا ...

ونجد الكثير من الاعمال في آداب العلوم التاريخيـــة الاثنوغرافية والفلسفية التي كرست من اجل عملية التطور وتقارب القوميات الاشتراكية ومصيرها التاريخي الجماعي ـ الشعب السوفياتي ..

ان دراسة ثبات هذه السمة الاثنية او تلك وكذلك زوال خصائص قومية ، وتطور ملامح عامة في حياة الشعوب ، سيتم بعمق اكثر اذا اعتمدنا على الابحاث السنوسيولوجية ـ العيانية او استخدمنا مناهجها .

ويمكن ان يسحب الانسان مواد الابحاث السنوسيولوجية في المسائل القومية على دراسة العمليات اللغوية وفي تحليل التغيرات في مجال الثقافة والحياة اليومية .

حللت أبحاث ي. ي كاسكا ، ف. ج غوفوتشنكو في

ايستلا و أ. ي شولوغوروف في ليتلاند (٥١) ، من قسم السوسيولوجيا في معهد الاثنوغرافيا في جمهورية التتار الاشتراكية ، العبء العملي للفات قوميات هامة بالاضافة الى اللغة الروسية ، ودرجة انتشار الاتقان للفتين بين فئات السكان المختلفة .

وتم البحث في اللغة التي يتحدث فيها الناس اثناء العمل ومع عائلاتهم ، وفي قراءة الصحافة والادب ، والاثر الذي يتركه اتقان لغتين او اكثر على ثقافة السكان وحركتهم الاجتماعية (٥٢) .

ان الابحاث في ايستلاند ، ليتلاند ، الابحاث الاختبارية لسكان بلو روسيا ، اوكرانيا ، جمهورية مولدافيا الاشتراكية وشبيبة جمهوريات آسيا الوسطى ، اعطت تصورا عن المام السكان بالثقافة الروسية وثقافة شعوب الاتحاد السوفياتي الاخرى . واهتمت الابحاث التي اجريت في جمهورية التتار الاشتراكية بالعادات الثقافية المعاصرة وبعض عناصر الثقافة التقليدية بين فئات السكان المختلفة .

يعتبر البحث الذي قام به ف. ف بيمينوف في اودمورتيا udmurtija هاما في تحليل العمليات الاثنية .

وبالاعتماد على المناهج السوسيولوجية احاط بالعلاقات المتبادلة بين عناصر الثقافة المادية السوفياتية التقليدية والعامة ، وبالعادات الحياتية في الفن الشعبي والخلق

الفني «للأدمورتيين» وكذلك بثبات لغتهم القومية .

واجريت الخطوات الاولى في تحليل الوعي القومي . وحول الوعي القومي ومشاعر التضامن كتب بعض المؤرخين، الفلاسفة ، والصحفيين بشكل مجرد او بالاستناد لامثلة فردية متفرقة .

وبمثل هذه الطريقة بالوصف يصعب التوضيح ، أي العوامل في واقعنا تحدد مشاعرنا القومية ، ولأي مدى تنتشر بين فئات السكان المختلفة وما هي علاقتها بالوعي القومي الناشىء للقوميات المختلفة ، العضوة بالاسرة الجديدة ، اسرة الشعب السوفياتي . وتعطي دراسة القوميات والجنسيات على اساس نتائج الابحاث السوسيولوجية صورة حقيقية لعمليات الاندماج في المجتمع السوفياتي .

وتلعب المدينة دورا خاصا في جعل الحياة اممية . شبَّه لينين المدينة الكبزى بالمطحنة التي تطحن الفروق القومية .

واكدت الابحاث تعدد جنسيات المدن . ويعيش فيها اكثر من ٣٠ جنسية ، لكنه من الطبيعي ان تكون درجة الصلة الشخصية بينها متنوعة . انه لشيء عظيم ان يعيش ممثلي ٥٠ جنسية مع بعضهم او الأوسيني والليتي وآخرين بين آلاف الكازاخيين والروس . والامر الثاني الهام عندما يعيش اشخاص من خمس جنسيات ولكنهم يمثلون المئات والالوف .

ومع الزمن تصبح المدن باستمرار متعددة الجنسيات ، لكن امكانيات الاتصال ستبقى مختلفة . ويرجع السوسيولوجيون العلاقات القومية المتبادلة الناشئة لامكانية الصلة الواسعة . قدمت أعمال تجريبية الامكانية لطرح السؤال عن مغزى فترة الاتصال بين القوميات من اجل التكيف المتبادل للجنسيات وادراك الثقافة القومية الاخرى وانفتاح علاقات صداقة بينها (٥٣) .

ينحصر مغزى الابحاث السوسيولوجية التي اجريت من اجل تحليل المسائل القومية في أنها مكنت من دراسة عمليات التطور القومي بشكل اكثر عيانية ، وفي موضوع البحث ايضا احاطت بالعلاقات السيكولوجية بين القوميات .

ان أهم المجالات المشتركة التي تتشابك فيها اهتمامات المؤرخين والسوسيولوجيين هي الابحاث في مجالات بنية المجتمع الاجتماعية والسيكولوجيا الاجتماعية . ويعرف الاخصائيون بالتأكيد ان هذه المجالات لم يعالجها البحث التاريخي حتى الان الا قليلا . وهنا يجب تطوير وحدة السوسيولوجيين والمؤرخين بشكل هادف . وحسب فهمنا يجب ان لا يقتصر هذا التطوير على المام المؤرخين الواسع بأعمال السوسيولوجيين واستخدام موادهم وحسب ، بل بالابحاث السوسيولوجية المشتركة ايضا .

ويمكن ان تكون مواضيع الابحاث المشتركة تلك التي تضيف وتكمل التحليل التاريخي للمجتمع المعاصر من اجل ان نكشف عوامل الماضي التي يصبح معناها من وجهة نظر

تطور المعارف المعاصرة ـ اكثر شمولا وكمالا ووضوحا .
والمسألة الراهنة على سبيل المثال تحليل البنية الاجتماعية للمجتمع السوفياتي والحركة الاجتماعية فيه .

يعتبر من الطبيعي والهام جدا ان يعرف مؤرخو المجتمع السوفياتي ، اي العوامل تدفع نحو حركة اجتماعية واسعة، وفي أي فترة زمنية من تطور دولتنا يمكن للانسان التحدث فيها عن زوال الفواصل الاجتماعية الحادة بين الطبقات والمجموعات الاجتماعية ، وليس ذلك بالمعنى الحقوقي (القضائي) وحسب ، بل بالواقع ايضا .

لا يهتم المؤرخون في التحليل التاريخي لهذه الظاهرة او تلك فقط ، وانما السوسيولوجيين ايضا .

وتساعد مثل هذه التحاليل في توضيح اماكن البداية ، دينامية العمليات وكذلك متابعة الظواهر .

نظرة الى الماضي تسهل معرفة الحاضر

عندما تقع بين ايدينا صورة من الطفولة لانسان من معارفنا الجيدين ، ننظر اليها باهتمام زائد . وغالبا لا ينبع هذا الاهتمام عن حب معرفة بسيط فقط ، وانما يأتي من الرغبة ايضا في معرفة ما هو الشيء الذي بقي ثابتا من الماضي وما هو الجديد . ومن هنا يتم توجه الباحث عندما يقوم بمقارنة تاريخية بين الماضي والحاضر . وفي مثل هذه الاحوال يبرز دوما السؤال : كيف ننسق المواد المقارنة والمصادر المقارنة ؟ وغالبا ما تجري مثل هذه الابحاث من قبل المؤرخين ، عندما يملكون مصادر احصائية قابلة للمقارنة . ويمكن ان تكون الابحاث السوسيولوجية ، التي اجريت في الماضي مادة انطلاق اولية . وتعتبر الكثير من الابحاث السوسيولوجية ـ العيانية في بلادنا في العشرينات والثلاثينات ذات اهمية كبيرة للمؤرخين . ان للوثائق الباقية والمحتفظ بها ، والتي جمعت في مسار تلك الابحاث قيمة مرجعية بالنسبة للمؤرخين . وتم الاحتفاظ بمواد الابحاث السوسيولوجية ـ العيانية لسنوات الخمسينيات والستينيات في المؤسسات التي قامت بهذه الابحاث . ويحصل المؤرخ الذي يلم بهذه الوثائق على معلومات اضافية تتعلق بالعمليات والظواهر التي جرت قبل فترة وجيزة .

١ ـ مواد الأبحاث السوسيولوجية ـ العيانية كمصدر تاريخي

حسب مفهومنا ، تقسم المواد التي جمعها وعالجها السوسيولوجيون الى مصدرين تاريخيين مختلفين . تعتبر الاستمارات ، تسجيل المقابلات ومعطيات المشاهدات التي جرت اثناء الابحاث ، مصادر اولية او مصادر من الدرجة الاولى ، يجري المؤرخ على اساسها تحليل تلك العمليات التي تهمه . ولم تبق هذه المواد دوما على حالها او متوفرة بشكل متكامل . فبقي من بعض الابحاث الوقائع الاولية المعالجة على شكل جداول احصائية ورسوم بيانية وهكذا .. ونسمي الاشكال الاخيرة ـ لتمييزها عن الاستمارات والمقابلات ـ مصادر ثانوية او مصادر من الدرجة الثانية .

ومن غير الممكن ان نعطي تحليلا مرجعيا متكاملا للمواد

السوسيولوجية المتوفرة . لقد اتخذنا مهمة اكثر تواضعا ، تقوم على لفت انتباه المؤرخين لهذه المصادر الخاصة ، التي تتطلب طريقة خاصة بالتحليل النقدي . وباستخدام نتائج الابحاث السوسيولوجية ـ العيانية كمصدر تاريخي ، نطبق جميع طرق تحليل المصادر التاريخية . وينطبق ذلك على نشأة المصدر ، اي يجب توضيح ، بأي هدف اجرى السوسيولوجي بحثه ، ومتى تم ذلك ، واين ، وتحت اية ظروف .

ان الوضع الاقتصادي والسياسي ـ الاجتماعي في المجال الذي يتم بحثه ، يؤثر جوهريا في آراء الناس حول بعض المسائل . ويتوضح من خلال الاستمارات المعدة ووثائق البحث الاخرى ، وكذلك المواد المجمعة ، اي المجموعات الاجتماعية والديمقراطية التي شملها البحث . وبالنتيجة لمثل هذا التحليل يؤخذ تأليف الوثائق ومصدرها، والذي يرغب المؤرخ في تقييمها لاهدافه ، ككل . وتنتسب مواد الابحاث السوسيولوجية ـ العيانية الى تلك المصادر ذات الطابع الجماهيري . وتستند هذه الابحاث عادة الى عينات بحث اختبارية . ان الاستفتاءات والمشاهدة الشاملة مكلفة جدا ، وترتبط باعداد تنظيمي واسع .

ومن الهام ان لا نحتاج لذلك الا في الحالات النادرة ، وتعتبر العينات الاختبارية موثوقة وكافية .

فالظواهر الاجتماعية ، موضوع تحليل الابحاث السوسيولوجية ـ العيانية ، تنطبع بسمات عامة محددة ،

يمكن على اساسها التقييم بالنسبة للمجموع .
ويمكن ان يكون مصدر المعلومـات المباشر في البحث السوسيولوجي ــ ويسمى وحدة مشاهدة ــ الانسان الفرد او مجموعة من الناس (عائلة واحدة وهكـذا) . ويعتبر مجموع وحدات المشاهدة الاساس في شمولية البحث . ويحدد السوسيولوجي التطابق مع الاخصائي في المجموعة المختارة والتي تمثل الاساس الكلي بأمانة . ويعتبر ذلـك ضروريا من اجل التحليـل المصدري لمواد الابحـاث السوسيولوجية والتأكد من صحة اكمال النتائج ، التـي تعتمد على اساس تحليل مجموعة اختيار بدلا من الاساس الشامل . ذلك يعني انه من المناسب للمؤرخ ان يعرف قواعد استخدام المنهج المختار (١) .
عندما يقرر الباحث صحة استكمال الاختيار علـى الاساس الشمولي ، يؤكد من خلال ذلك وبنفس الوقت هذا الاختيار المعلل ومقدار ما يمثله البحث .
وتكمن المسألة الاولى في عدد وحدات المشاهدة ، التي تعتمد على اساسها الاستنتاجات المباشرة . ويتطلب بيان مدى تمثيلية الاختيار ، مقارنة العينة المختارة ومجموعـة الاساس بالادلة .
وتستخدم في الابحاث السوسيولوجية ثلاث طـرق للاختيار . وفي اختيار الصدفة تكون وحدات المشاهـدة بالصدفة . ويتم الاختيار فيها اما حسب جدول ما يسمى

بأرقام الصدفة أو على سبيل المثال كل عاشر شخص من مائة .

وهناك حالات ايضا يتم فيها اختيار الصدفة من المجموعة الاساسية ، حيث لا يوجد امكانية لترقيم المجموعة الاساسية . وطوّر ب. أ. غروشين طريقة شيقة للاختيار في مثل هذه الحالات . ولفهم الرأي الاجتماعي حول دينامية مستوى الحياة ، تم توجيه السؤال في يوم واحد عام ١٩٦٠ لكافة المسافرين بالقطارات الخارجية ، والمنطلقة من ٩ محطات موسكو للقطارات . وتبين نتيجة لذلك ، ان هذا الاختبار بالصدفة شمل ممثلين لجميع الجمهوريات الاتحادية ، ممثلين لـ ١٥ من ١٩ جمهورية ذات حكم ذاتي، من ست نواحي و٤٩ منطقة لروسيا الاتحادية ، ممثلين لـ ١٩ منطقة من اكرانيا ، و١٠ مناطق من كازاخستان . وبلغ مجموع ما اعاده المسافرون ١٥٠٠ استمارة (٤) .

وكان من الضروري لحل مهام البحث الاخرى ، ان تشمل الدراسة مجموعات نموذجية اخرى من السكان ، تتمايز عن بعضها في مستوى الحياة والوضع الاجتماعي .

لقد بيّن تحليل الاستمارات المعادة انه تم تناول مجموعات السكان بالتحليل بشكل متمايز حسب وضعها الاجتماعي .

تمثّل العمال في مجموعة الاختبار بـ ٣٤ بالمئة والمهندسين التقنيين بـ ١٣ بالمئة والموظفين بـ ٣٣ بالمئة وتمثل فلاحي الكولخوزات بأكثر من ٢ بالمئة بقليل . ويمكن

لاستنتاجات السوسيولوجيين من هذه الدراسة ان تسحب على سكان المدن فقط .

هناك حالات في السوسيولوجيا الاجنبية ، يتم توجيه الاسئلة فيها لمسافري احد الباصات او قاطرة احد القطارات على شكل مقابلات خاطفة . ومثل هذه الاستفتاءات تكون موثوقة ، عندما لا يتطلب البحث تمثيلا تفصيليا لمجموعات السكان من ناحية الديمغرافيا ـ الاجتماعية .

وطبق في عدد كبير من الابحاث منهج اختيار المجال .

وتقسم في طريقة الاختيار هذه مجموعة الاساس الى أهم مجموعات تهم البحث ، وتبرز مجموعة الاختيار من بين هذه المجموعات (المجالات) . وحالما يعين عدد وحدات المشاهدة الضرورية في كل مجموعة يتم اختيارها حسب قواعد الاختيار بالصدفة .

ويعتبر احد اشكال اختيار المجال «نماذج ـ الحصص» Quoten - Samples وتكمن ميزتها في ان الحصة ـ النموذج تناسبها طردي مع الاختيار (بالنسبة لمجموعة الاساس) .

ولا تحدد نسب الحصة ـ النموذج لسمة فقط ، بل لسمات عديدة مثل الجنس ، العمر ، الدخل ، التعليم والمهنة .

ولاستخدام طريقة الاختيار هذه ، يتوجب على الانسان معرفة دقيقة لتوزع السمات في مجموعة الاساس . لذلك يندر ما تطبق هذه الطريقة . ان المؤرخ الذي يرغب في تقييم اعمال السوسيولوجيين يمكنه الان ان يتخذ خيارا من

مجموعة بحثهم .

ذلك يعني انه عندما يعرف ميزة الاختيار وتمثيله للابحاث المنفذة ، يستطيع انتخاب الاستمارات والمقابلات التي تهمه من خلال ذلك . ومن الممكن ان يستخدم لعمله الخاص تلك الاستمارات فقط من مجموعة الاختيار ، التي ملأها ــ على سبيل المثال ــ المثقفون والشباب .

وهناك مسألة أخرى ترتبط بشكل وثيق بتحليل مصادر المواد والمتعلقة بدقة مناهج جمعها والفهم الصحيح لهذه الظاهرة او تلك . لذلك ليست معرفة المؤرخ قليلة الاهمية، في طريقة جمع المواد ، وبقيام احد السوسيولوجيين او مجموعة منهم في جمعها ، وبمستوى تأهيلهم . وكذلك يجب ملاحظة تعليمات تنفيذ الاستفتاءات والمقابلات (كيف تمت تعبئة الاستمارة بشكل مستقل أم من السائل) .

ومن خلال ذلك يتضح أي اللحظات اثناء الاستفتاء ، أعار السوسيولوجيون اهتماما خاصا . والمصادر الضخمة التي يمكن للمؤرخين تقييمها الاستمارات وتسجيل المقابلات وبطاقات العائلة الموحدة (استمارات مغبأة من جميع أفراد العائلة) .

ومع ذلك يواجه الانسان احيانا الشك في قيمة الاستفتاءات . وغالبا ما يعلل ذلك بالاشارة الى ان الاستمارات لا تحوي الا معلومات ذاتية . وفي هذا السياق يشار عادة الى امكانية الاجوبة المغلوطة . ومن المفيد هنا ان نعالج بشكل مختصر الاستمارة والاستفتاء . ان الاستمارة

وثيقة تحتوي على اجوبة لاسئلة طرحها الباحث على المستفتين الذين يقومون بتعبئة الاجابة بشكل مستقل .

وعندما يجري حديثا على اساس الاستمارة مع المسؤول، يعتبر ذلك مقابلة . ويمكن ان تكون المقابلة موحدة او مبرمجة .

وبالاستقصاءات عن مسائل خاصة وسيكولوجية — اجتماعية ، تسجل اجوبة الاسئلة او الحديث ، وتعتبر هذه ما يسمى بالمقابلات الحرة (او الغير موحدة) . ولكنها تنفذ عادة حسب خطة معينة .

اتضح في احد تحاليل الاستمارات وتسجيل المقابلات في العشرينيات والثلاثينيات والسنوات الـ ١٠ — ١٥ الاخيرة ، ان الاستمارات والمقابلات قسمت الى مجموعات اسئلة تتمايز في طابعها . ولهذه الحقيقة مغزى اساسيا في التحليل التاريخي للمصادر . واحتوت أجوبة احدى المجموعات اسئلة حول الجنس ، المهنة ، النشاط الحالي ، مستوى التعليم ، العائلة ، الانتساب للحزب ، الجنسية ، مكان السكن ، سعة السكن الخ .. وتعتبر الاجابات على مثل هذه الاسئلة معلومات موضوعية (٥) .

يراقب المسؤول باجابات هذه الاسئلة حقيقته الخاصة، وتوجد هنا امكانيات ضئيلة جدا للاجابات الخاطئة . ونجد نفس الحالة بالاسئلة المتعلقة بحياة المسؤول ، أصله الاجتماعي ، ثقافة الوالدين ، الاختصاص ، العمل السابق الخ ..

وتحتوي المجموعة الاخرى من الاسئلة في الاستمارات والمقابلات ، معطيات عن نشاط الناس ، سلوكهم الملموس ، القرارات التي اتخذوها وتعجبهم في هذه المسألة او تلك ، الوضع العائلي ومكان العمل ، الآراء ، المواقف واتجاهات القيم . في الاجابة على هذه الاسئلة يعبر عن علاقة المسؤول الذاتية تجاه كل سؤال من الاسئلة الموجهة ، وتظهر هذه اللحظة الذاتية كما يلي : اولا هل فكر المستفتي بشكل كاف حول هذا السؤال او ذاك ، ولهذا يمكن ان يعكس الجواب درجة مختلفة من القناعة . ثانيا هل يمكن ان يكون المستفتى صادقا بدرجات مختلفة عند اجابته على مثل هذه الاسئلة . ودرجة الاستقامة ، هي الامر الذي يشير فقدان الثقة المعروف تجاه الاستفتاءات كمصدر للمعلومات. وهذا ما يجب ملاحظته عند تقييم الاستفتاءات، وليس من النادر ان يهم السوسيولوجيين ما يلي : كيف يتصرف الانسان باجابته على هذا السؤال او ذاك ؟. كيف يجيب في حالات مختلفة ؟ ذلك يعني اننا نقيس درجة الذاتية ، ولا نعتبرها مجرد ظاهرة موضوعية ما ، كدافع للاستفسار فقط .

ويهم الباحث في حالات أخرى سلوك الناس الممكن ، ذلك يعني رغبته في توضيح السلوك المقبل للاشخاص الخاضعين للبحث وتطابقه مع الاقوال ، او معرفة مواقفهم تجاه هذه المناسبة او تلك ، كيفية علاقتهم بالعمل والموقف القومي وهكذا . وفي مثل هذه الحالات تحمل الاجابات

نوايا ، اهداف وآراء المستفتين . ويمكن اختبار مـــدى موثوقية هذه الاجوبة ، بمقارنة الاقوال حول الاسئلـــة المختلفة بالحالة نفسها ، حيث يجب ان تسجل نفس الآراء والمواقف . ومخالفة الاقوال للحالة نفسها تخول عدم الثقة بالمستفتى . وبدون هذا السؤال التجريبي لا يمكن اختبار صحة المواقف والآراء . ويمكن ان يفترض الانسان ان مخالفة الشهادات يستند الى تغيير راي المستفتى اثناء المقابلة .

واعادة التفكير بهذه المسألة او تلك يمكن ان يـــؤدي بالمسؤول للاستنتاجات شك بها سابقا او لم يكن مقتنعا بها تماما .

ويجب ان لا يعني عدم انسجام الاجوبة دوما ، نقضا لحقيقة المعلومات . ويستخدم السوسيولوجيون طرقـــا متنوعة للوصول الى اجوبة موثوقة ، والحصول على آراء ومواقف حقيقية . وينطبق ذلك على توجيه السؤال قبل كل شيء ، فعلينا ان لا نوجه اسئلة تؤثر في راي الانسان الذي تجرى معه المقابلة . وذلك على سبيل المثال كما هو الحال في السؤال التالي : «انت لا تحب عملك ، فلمـــاذا ؟» . يحدد هذا السؤال مسبقا الموافقة على الاجابة السلبية . ويمكن ان يصاغ السؤال بشكل آخر : «هل يعجبك ، أم لا يعجبك ؟» . يتطلب هذا النوع من الصياغة في الســـؤال (السؤال البديل) قرارا .

وليس من النادر ان يصادف الانسان نظريا وعمليـــا معيارا كاملا لقيم بينية .

لذلك يطرح السؤال غالبا بشكل حيادي ، مصحوبا بسلسلة مسبقة من الاجابات الممكنة ، على سبيل المثال : «الى اي درجة ترتبط بعملك ؟» ـ «يعجبني» ، «ماشي الحال» ، من الصعب القول« ، «لا يعجبني البتة» . ويبذل السوسيولوجيون قصارى جهدهم لتجنب الصياغات المتشعبة التي تودي الى اجوبة ذات «كليشيه» واحد .

ويستخدم عادة جملة شاملة او كما يقول السوسيولوجيون «مدخرة» من الاسئلة لتوضيح المواقف والآراء في هذه الناحية او تلك من الحياة الاجتماعية . فلا يسأل مثلا : «لماذا تفضل العمل ؟» ، بل تعد جملة من الاسئلة توضح الظروف التي ادت لاختيار المهنة او مكان العمل . ويعني ذلك انه من غير المسموح به للمؤرخ بتاتا ، ان يتناول بالصدفة من «مدخرة» الاسئلة ، جوابا وحيدا فقط في تقييمه للاستمارة . وعلينا ان نعتبر مجموعة الاسئلة موضوعا واحدا ، حيث ان الجواب الوحيد لا يعطي الرأي والموقف .

بعد تنميط مسبق فقط للآراء ، المواقف والدوافع ، يمكن للانسان مقارنته بالمعطيات الديمغرافية (العمر ، التعليم وهكذا ..) .

واخيرا يجب مراعاة عدم الخلط بين قوة الراي ومحتواه بالاجابة على الاسئلة . فيسأل مثلا «كم مرة تشاهد البث التلفزيوني ؟» . لا يتضمن هذا السؤال ، ان الانسان يرى او لا يرى البث التلفزيوني ، وانما فيما اذا كان يراه بشكل

منتظم او بين حين وآخر .

واذا كان الامر يتعلق بتسجيل آراء الناس ومواقفهم ، يراعي السوسيولوجيون ، الى اي مدى يؤدي راي المسؤول المعبر عنه للتوافق مع نفسه ومع النـــاس المحيطين به . وليتجنب تأثير هذا العامل يلاحظ خاصة اغفال التسمية كليا بالاستفتاء والمقابلة ، حيث من الصعب اقناع المستفتى الاحتفاظ بالتسمية عند المقابلـــــة . لذلك لا يأخـــذ السوسيولوجيون عادة اشخاصا يعملون في معمل واحد او تعاونية واحدة لاجراء مقابلاتهم ، بل يسعون لتجنب الحالات والظروف الكابحة للاجوبة الصحيحة .

وعلى سبيل المثال يهتم السوسيولوجيون في معهـــد الاثنوغرافيا التابع لاكاديمية العلوم في الاتحاد السوفياتي ، في مسألة تحليل المواقف القومية . ففـــي المجموعـــات الاختبارية المشكلة بنفس الحجم ، وتتم المقابلات فيها دوما من قبل اشخاص ينتمون لقوميات اخرى (على سبيل المثال يقوم التتري بتوجيه الاسئلة للروسي «٦»، كان التمييز فيها قليلا . ويعني ذلك وجوب مراعاة عامل الانتماء القومي في تنفيذ الاستفتاءات المتشابهة .

فمن يسأل لا يهمه كثيرا مطابقة نتائـــج الابحاث ، ويميل للاجابات الموحدة التي تتوافق ـ كما هو ملاحظ ـ والراي الاجتماعي العـــام . ولتجنب ذلك يستخـــدم السوسيولوجيون اشكال سؤال كالاختبار . فهم على سبيل المثال يقدمون اجابتين ممكنتين مسبقا لتوضيح مشاعـــر

التعارف بين شغيلة الكولخوزات والسوفخوزات ، وعليهم تقرير احدهما .

تحتوي كل اجابة ممكنة ملامح ايجابية وكذلك سلبية، لكن التعاون يرجح في احدهما على المصالح الشخصية . ونجد هناك ايضا ناحية اخرى للتأثير على آراء وتوجهات الناس فتكوّن الآراء والمواقف يتأثر بالعادات الاخلاقية - الاثنية والايديولوجية في المجتمع واشكال التعاون الرسمي وغير الرسمي والتي يتعاطى الانسان معها . وتعتبر التقاليد الاجتماعية والتعاونية تقاليد المذهب والسلوك للناس انفسهم ، ذلك يعني انها جزء من المواقف . فمن اجل فهم صحيح للمواقف والآراء المكونة يعتبر من الضروري تعيين درجة تمثل الناس للنظرة الايديولوجية السائدة . لذلك اول ما يسأل المؤرخ ، الذي يقيّم مواد الابحاث السوسيولوجية - العيانية والمراجع الاساسية، عن وجاهة وتمثيلية الاختيار. وتستخدم الاستمارات وتسجيلات المقابلات بشكل متمايز يتطابق وطبيعة المواد .

وتعالج بشكل مختلف ايضا الوقائع ذات الطابع الديموغرافي ، وتلك التي تتضمن تقييمات ذاتية . ولا تعتبر المعطيات الاخيرة صحيحة التقييم ما لم تراعى مجموعات الاسئلة المناسبة .

وتعتبر وثائق ، مواد الابحاث السوسيولوجية التي تحددها كمراجع من الدرجة الثانية . وتتخذ عادة شكل جداول توزيع مبسطة ، اي انها تتضمن عدد الاجوبة على

السؤال المطروح . وتتضمن على سبيل المثال توزيع الناس حسب العمر ، الجنس ومستوى التعليم او توزيع الاجوبة الايجابية والسلبية حول هذه المسألة او تلك . وتوجد عدا هذه الجداول بالارقام المطلقة ، جداول اخرى تتضمن معطيات بأرقام نسبية ومعدلات وسطية او حسب ثوابت معينة . واخيرا علينا الاشارة للرسوم البيانية والجداول التي تتضمن توزيع ـ على سبيل المثال ـ الرضى بالعمل حسب العمر او وقائع ديمغرافية اخرى .

ويمكن للمؤرخ ان يستخدم في عمله ـ مراعيا بعض القواعد ـ جميع مواد ونتائج الابحاث السوسيولوجية وأن يجمعها ويفسرها حسب اهتماماته . فعندما يجمع السوسيولوجي الوقائع حول التقاليد الثقافية لمجموعات المهن المختلفة في المدينة والقرية ، يهمه اذن على سبيل المثال ما هو مشترك او متمايز في حاجات المثقفين الثقافية والعمال المساعدين . وما يهم المؤرخ او ممثلي العلوم الاجتماعية الاخرى التجمع المعبر عن التمايز في تقاليد الشغيلة الثقافية في المدينة والقرية . واخيرا يمكن للمؤرخ ان يضيف هوامش جديدة الى جداول التوزيع المبسطة التي يحصل عليها . وعلينا الاشارة ايضا الى ان استخدام السوسيولوجي المتكرر او المؤرخ للمواد ، يمكنه من اعداد معطيات الاستمارات بالاستناد الى التجمعات الضرورية له، وبالتطابق مع التنميط الذي يهمه . وينقلب حجم المعلومات المتوفرة في مثل هذه الاحوال الى قيد .

وإذا ما لاحظنا امانـــة مصادر الدرجة الثانية نؤكد على انه لا يهم السوسيولوجيين كثيرا الامانة الفردية لكل اجابة ، بل مصداقيـــة مجموع الاجوبـــة ، ويحـــل السوسيولوجيون هذه المهمة بدراسة مجموعات مشابهـة وأحيانا باعادة الاستفتاءات لنفس مجموعـــة الاشخاص . فالتوصل الى نفس الوقائع وتوزع الدوافع والآراء ، يثبت مصداقية المعلومات . ويمكن للمؤرخين تبعا لذلـــك ان يعتمدوا بثقة بعد التحليـــل القانونيات التي ابرزهـــا السوسيولوجيون . ليس التحليل التاريخي للمصادر شرط ضروري مسبق للابحاث السوسيولوجية التاريخية المحدثة، وانما لحالة أن المؤرخ نفسه لا يجري ابحاثا جديدة ، وانما يعالج موادا جمعها السوسيولوجيون ، لم تجر العادة حتى الان ان تقيّم المواد السوسيولوجية ، ولكن هذا التوجـــه يقوى باستمرار .

بعد ان وضحنا امكانية ان تكـــون مواد الابحـــاث السوسيولوجية ـ العيانية التي تمت في الماضي والحاضر مرجعا تاريخيا ، سنستعرض الان التجـــارب المتوفرة ، لاستخدامها من قبل المؤرخين والسوسيولوجيين .

٢ ـ تجارب اولى من ابحاث سوسيولوجية تاريخية ـ عيانية .

لم يظهر الاهتمام بالابحاث السوسيولوجية التاريخية ـ

العيانية من خلال الرغبة في الرؤية المكررة لمواد البحث السوسيولوجي فقط ، وانما لاعتبارات عملية ايضا . وهناك اعمالا صارت شهيرة استخدم في انجازها مؤرخون وسوسيولوجيون نتائج ابحاث سوسيولوجية من الماضي ، ونخص منها الابحاث الدراسية حول القرية كوبانكا Kopanka *، والقرية تيربنيي Terpenje ** والتحليل حول ثقافة وحياة الشبيبة *** .

لقد تم كل من هذه الاعمال بأهداف مختلفة . حللت المصادر حسب مناهج متنوعة . ولم يحالف الباحث في هذه التحاليل النجاح فقط ، بل كان عليه التغلب على عدة صعوبات ايضا . لذلك نجد من المفيد تقييم التجارب الاولى والتي جمعتها الاعمال التاريخية ـ العيانية ، لنجد فيها الطرق العقلانية في بحث المؤرخين والسوسيولوجيين ، وننبه بنفس الوقت الى الطرق المختلف عليها . ويمكننا

---

x) Копанка 25 лет спустя.

xx) Ю.В. Арутюнян, Опыт социологического изучения села.

xxx) В.И. Полетаев/В.А. Устинов, Изменение социального облика колхозной молодёжи 1938-1969 гг. In: История СССР, 4/1970.

القول اننا نجحنا من وجهة نظر تاريخية ـ بيانية .
فكل بحث قيّمناه كان قد تم على اساس طرق اختيار متنوعة ، استخدم العلماء في بعضها طرق مختلفة لاعداد الوقائع ، وأجروا استفتاءات متكررة ومتنوعة بين السكان. هذه هي المسائل التي سنتوجه اليها الان . وبفضل الوصف الدراسي التاريخي ـ الاجتماعي بالتحاليل الشاملة لاهم مشاكل القرية ، جمعت تجارب شيقة (٧) من الابحاث التاريخية المقارنة في الثلاثينات ، واستمرت مثل هذه الابحاث في الخمسينات والستينات (٨) .

حللت هذه الابحاث وثائق احصائية ووثائق من المعامل، واجريت كذلك مشاهدات اثنوغرافية شاملة ، واصبحت تشمل في الآونة الاخيرة نتائج الابحاث السوسيولوجية ـ العيانية بشكل اقوى .

تقع قرية كوبانكا Kopanka في منطقة تبرابولسك في جمهورية مولدافيا الاشتراكية . اختار سوسيولوجيون بورجوازيون رومانيون عشية الحرب العالمية الثانية قرية كوبانكا موضوعا لبحثهم ، ونشرت نتائج بحثهم عام ١٩٣٨ (٩) . واستخدمتها مجموعة اساس في بحثها الهادف الى تحليل جوانب التغيرات في ظروف حياة الفلاحين في جمهورية مولدافيا الاشتراكية في سنوات السلطة السوفياتية . لقد تمت ابحاث السوسيولوجيين البورجوازيين حسب منهج «المدرسة المونوغرافية» ، التي

اسسها ديمتري غوستي ، السوسيولوجي ـ الروماني البورجوازي المشهور ، وتكمن طبيعة منهجه ، في انها تشمل ظواهر متعددة في موضوع البحث ، كتحليل ظواهر اقتصادية (الزراعة ، الاحراج ، المواشي الخ ، المعامل اليدوية ، المؤسسات التجارية) ، وظواهر حقوقية (احصاء العقوبات ، مسائل الارث الخ ..) ، وسياسية (الاحزاب المحلية ، القناعات السياسية ، اجهزة القرية القائدة) ، واجتماعية (العائلة ، الجيران) ، وكذلك الظواهر الروحية والاخلاقية ، العلاقات الشخصية (العلاقات بالضيوف ، الاصدقاء ، الرجال والنساء) وعمليات اجتماعية اخرى . واحتوت الابحاث التي اجراها السوسيولوجيون الرومانيون تناقضات كبرت . وتولد الانطباع كما لو ان كل جزء او فصل كتبا من مؤلفين غير متفقين مع بعضهما ، احدهما يوضح الحقائق التي لا ترد ، والآخر يعمل كما لو ان لا وجود لها ، وينطبق ذلك على مجموع الكتّاب ، رغم انه كتب من نفس المؤلف . ولا تعتبر هذه حالة عرضية . يسعى السوسيولوجيون البورجوازيون ، تجنب تناقضات الواقع في تحليلاتهم . ـ عرف أتباع غوستي بنظرية «الموازاة الاجتماعية» التي تؤكد «تشابه» العوامل المتنوعة في التطور الاجتماعي (١٠) ـ وجمعت من هؤلاء البحاثة، مادة ضخمة ، يخرج الانسان من خلالها بتصور عن الحياة الواقعية لفلاحي قرية كوبانكا زمن السيطرة الاقطاعية ـ البورجوازية . وتشكل مواد هذه الوقائع قاعدة لبحث سوسيولوجي

ـ تاريخي مقارن .

وكذلك كان البحث الجديد في قرية كوبانكا شاملا . وتم ذلك عام ١٩٦٠ بمشاركة فلاسفة ، اقتصاذيين ، اثنوغرافيين ، مؤرخين وسيكولوجيين ، فأغنى ذلك البحث. وكل مجال من حياة الناس ، درسه علماء مختصون بذلك . وكانت المادة التي جمعت ذات طابع شامل . لقد تم تحليل احصائيات حول العمل في الكولخوز وأعضائه بشكل افرادي ، ووقائع احصاء اجتماعي ـ ديمغرافي ، مشاهدات مسجلة ، معطيات لمقابلات حرة وموحدة واخيرا وقائع لمصدر ثمين كموازنات الاقتصاد المفصلة .

ويمكن استخدام المصادر المتنوعة استنادا للادوات السوسيولوجية ، عكس دينامية الظواهر الاجتماعية ، وابراز الاستنتاجات المقنعة حول الخطوات الاساسية التي تمت في هذه القرية في ظل السلطة السوفياتية . ومن المؤسف ان يكون مؤلفي «المونوغرافيا» متحفظين جدا في تمييز موضوع البحث . لقد عللوا اختيارهم لموضوع البحث باهتمام تاريخي فقط ، نابع من المواد المتوفرة عن الابحاث الماضية . ولكن الباحثين لم يشيروا الى المدى الذي كانت فيه القرية كوبانكا في الستينيات نموذجية للمنطقة والجمهورية . وبالمناسبة فان ما يهم القارىء دوما ، مدى نموذجية موضوع البحث للقرية والجمهورية ، والى اي بعد يعكس القانونيات العامة او يشمل ميزات واسمة . رغم ان دراسة كوبانكا تتضمن جزءا خاصا «لماذا اختيرت القرية

كوبانكا موضوعا للبحث ؟» يصعب على القارىء تكوين رأي حول نموذجية وخصوصية القرية المختارة .

في دراسة كوبانكا أجريت التجربة للمرة الاولى على تجمع فلاحين في ظروف السلطة السوفياتية بالعلاقة مع انواع النشاطات ، المهن والتأهيل . ويكتسب اهمية ايضا تنسيق المادة في الكتاب . ويتمم الوصف ، المعتمد عادة على معطيات احصائية بأحاديث السير الذاتية . نتوصل للمقارنة بالماضي من خلال الاعتماد على المصادر المتنوعة ، ويتم تحليل الظواهر بالمناهج التاريخية والمناهج الخاصة بالابحاث السوسيولوجية ـ العيانية .

ظهرت مهام اخرى فيدراسة القريةتيربيني من ميلتوبولسك رايون Rayon (منطقة سبورسك) (١١) . والمقارنة التاريخية جاءت تابعة لهدف التحليل الملموس للعلاقات المتبادلة بين الطبقات والفروق بين مجموعات المهن الاجتماعية .

نشر العاملون في المعهد العلمي للاقتصاد الزراعي عام ١٩٣٩ كتابا حول «التغيرات الاجتماعية ـ الاقتصادية في القرية» (١٢). اتضحت فيه تغيرات قرى ميلتبولسك رايون منذ نهاية القرن التاسع عشر حتى عام ١٩٣٨ ، واستخدمت في ذلك موادا من ابحاث الموازنات واحصائيات السكان . ولم يتم تقييم جميع المواد التي جمعت سابقا .

حفظت في أرشيف وزارة الزراعة فيالاتحاد السوفياتي الفي موازنة عائلية تفصيلية ، تميز الوضع الاقتصادي والمالي

والحياتي لسكان القرية ، وتم كشفها واعدادها من قبل ي. ب آرتوتيان . واثبت ان القرية تيربيني موضوع بحث نموذجي ضمن الظروف الراهنة .

لقد سكن هذه القريـة عام ١٩٦٣ ٨١٥٨ شخصا . في هذه القرية الأوكرانية الكبيرة كان هناك كما في الماضي سوفيتا للقرية . وكما كتب المؤلف : «لقد وصلنا الى منظور تاريخي مفر في هذه القرية ، لكن على هذا البحث ان ينقل صورة نموذجية» (١٢) . للقرية ملامح عامة حسب وضعها الاقتصادي وتركيبة سكانها الاجتماعية . لقد عمل سكـان القرية تيربيني في الكولخوز «المؤتمـر الحادي والعشرون للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي» (والـذي يعتبر نموذجيا «لريون» والمنطقـة في دلالاته الاقتصاديـة ، ومحاصيله الزراعية ، انتاجه الحيواني ، في التكاليـف الذاتية وأجر العمل فيه) ، وفي السوفخوز وفي احـد المعامل .

بعد تحليل الاحصاء الاجتماعي والاقتصادي ، اجـري استفتاء للسكان ، وشكلت مجموعات المهن الاجتماعيـة الاساس في اختيار الاستفتاء . وشمل الاستفتاء ٣٤ بالمئة من سكان القرية .

وبما ان عددا قليلا من سكان قرية تيربيني يعملون في السفخوز أخذ في الدراسة السوفخوز المجاور «أكرمـن» لتمثيل مجموعة المهن هذه . ولا يتصف هذا السوفخـوز بأي دلالات خاصة بالمقارنة مع السوفخوزات الاخرى . سئل

في هذا السوفخوز ٥٨٢ انسان .

واختيار البحث يمكن ان يرى ممثلا لموضوع البحث .

لقد اكدت بنفس الوقت مدى نموذجية موضوع البحث بالنسبة لمجموعة الاساس ، والتي كانت في الحالات الفردية اما «ريون» او المنطقة . ويجب حل مسألة تمثيل المعطيات حول مجموعات المهن الاجتماعية . يحتوي احصاء عام ١٩٥٩ لسكان عموم الاتحاد السوفياتي ، كما هو معروف ، معطيات عن توزيع العمال ، الموظفين وفلاحي الكولخوزات حسب فئات اجتماعية تفصيلية . لذلك كان من الضروري المعالجة المسبقة للوقائع الاحصائية والتي قدمها سوفييت القرية . وعلى هذا الاساس قام الاختيار الذي يؤكد تمثيل موضوع البحث . وحسب مـــواد سوفيات القرية ، كان ٥١ بالمئة من السكان فلاحي كولخوزات ، و٤٩ بالمئة عمال وموظفين . وتتطابق هذه النتائج مع عموم نسب الاتحاد ــ ٥٤ بالمئة فلاحي كولخوزات و٤٦ بالمئة عمال وموظفين . ومن الطبيعي انه من غير الممكن القول ، ان تقارب هذه الوقائع يخولنـــا اعتبار نتائج البحث ممثلة للبلاد عامة . لكن شهادات لبعض الميول في هذه الظاهرة او تلك تعتبر ممكنة . لنتذكر في هذا السياق ان لينين عمل بوقائع أولية او تقريبية ، قبل ان توضع امامه أرقام احصائية دقيقة ، ليحصل على الاقل على معلومات استراتيجية (١٤) . ليست مثل هذه المعطيات ضرورية لمهام القيادة العملية فقط ، وانما من اجل الاعداد لابحاث اكبر ايضا .

تم العمل في «ميلتوبولسك ــ رايون» على عدة مراحل. بدأ البحث بتحليل تقارير الدولة الاحصائية . ثم قيمت كتب الاقتصاد ، المتضمنة حالة الملكية لعائــلات القرية ، تركيبهم وثقافتهم وأعمار أفراد العائلة ، ووضع الاقتصاد الفردي للمنزل ، مساحة الدولة ، وضع المواشي المتملكة فرديا . ومن ثم تستفتى العائلات حسب استمارة معــدة خصيصا . أخذت في استفتاء ١٩٦٣ مسائل ما استفتاء الثلاثينيات . ويتمثل هنا فرق هذه الابحاث عن تلك التي جرت في كوبانكا .

تمت معالجة المادة التي حصل عليها وتحليلها من زوايا اجتماعية وتاريخية اخرى . لنلاحظ بعــض طرق البحث المستخدمة في هذا العمل . فأحد دلالات التمييز الاجتماعي على سبيل المثال ، دخل مجموعات السكـــان الفردي ، وشهادات دخل سكان القرية تحسب فقط بالنسبة لاجــر العمل دون اخذ الاقتصاد المنزلي الفردي بعين الاعتبار .. وكان من الاهمية للبحث بمكان ، توضيح مسألة ، فيما اذا كان الاقتصاد الفردي يساوي بين دخول المجموعات مؤهلة وغير مؤهلة العمل ، ذات العمل العقلي والجسدي فـــي الكولخوز .

في المجموعة الاحصائية السنوية «الزراعة في الاتحاد السوفياتي» (١٩٦٠) ، نجد معطيات حول الاقتصاد الفردي لفلاحي الكولخوزات ، للعمال والموظفين ، لكن المعطيـــات حول اقتصاد العمال والموظفين لم تقسم حسب المناطـــق

الزراعية . وبينت المجموعة الكاملة «اقتصاد الاتحاد السوفياتي» اقتصاديات الفلاحين الكولخوزيين ، العمال والموظفين بشكل مشترك ، حيث من العسير اجراء تحليل مقارن على اساس هذه الوقائع .

لذلك تم تحليل الاقتصاد المنزلي الفردي في القرى تيربيني Terpenje ، ساريتشويني Saretschonje و لوغوفويي Logowvje . توضح الوقائع المكتسبة وتبلور المعطيات المقدمة باحصائية الدولة الرسمية . وتم على هذا الاساس التحليل السوسيولوجي . ولم يتم الاستفتاء فيما لا حاجة له . وينطبق ذلك على تحليل حجم الاقتصاديات المنزلية ، وبكلمة اخرى مساحة ملكية الدولة بين سكان القرية . ويشير المؤلف في هذا السياق ، الى ان الاهتمام الزائد بالاقتصاديات القروية يولد عدم ثقة بين المستفتين ، تضر بالاستفتاء . لقد اخذت الوقائع الضرورية للاقتصاديات الفردية من كتب الاقتصاد (١٥) .

وهناك طريقة بحث اخرى ، تقارن الوقائع الموضوعية المثبتة في الاستمارة بالاجابات على كل سؤال يحمل طابعا تقييميا . فعلى سبيل المثال ، سئل المستفتون عن عدد الكتب التي يملكونها ، وقورنت النتائج بالسؤال «هل تقرأ كتبا بشكل دائم ؟»

تطابقت الاجابات على هذا السؤال مع المعطيات حول ملكية بعض الكتب .

اجري تحليل المادة الملموسة من قرية تيربيني على اساس

بعض العمليات الواسمة للبلاد بمجموعها . ينطبق ذلك على الدور الاقتصادي والاجتماعي للاقتصاديات الفردية ، الذي تم تقديره من خلال تقييم معطيات أبحاث الموازنة للادارة المركزية للاحصاء في الاتحاد السوفياتي ، وكذلك من مواد المجموعة الكاملة «الاقتصاد في الاتحاد السوفياتي» (١٦) .

واستخدمت هذه الطريقة ايضـا لتوضيح الـدور الاجتماعي للتعليم . ويميز استخدام مثل هذه الطـرق الابحاث التي اجريت في تيربيني عن وصف التغـيرات الاجتماعية الاقتصادية في قرية كوبانكا . لكن طبيعـة البحث الشامل في تحليل الوضع الاجتماعي ، تميز كلاهما.

ومن المفيد ايضا ان نستعرض من نتائج الابحاث مـا يتعلق بثقافة وحياة الشبيبة السوفياتية . يختلف هـذا البحث عن سابقيه ولم يكمل حتى الان بعد . ونشرت النتائج الاولى في مقال ف. إ بوليتايف و ف. ا. أوستينوف ، التغيرات في النواحي الاجتماعية لشبيبة الكولخوز (١٨) .

قبل ثلاثين عاما (من ١٩٣٦ ــ ١٩٣٨) أجرى العاملون في اللجنة المركزية لكومسمول والقيادة المركزية للاقتصاد عملا شيقا . درسوا الاهتمامات الحياتية والثقافية للعمال والفلاحين الشباب حتى السادسة والعشرين من العمر . ولا زالت الاستمارات التـي استخدمت اساسا للبحث محفوظة .

ومن الطبيعي ان يدرسها اخصائيونا المعاصرون بعناية. لقد أعد العاملون في معهد التاريخ في الاتحاد السوفياتي

استمارة لاستفتاء مكرر لشبيبة القرية . وأجري هـــذا الاستفتاء عام ١٩٦٩ حيث شمل ٥٤٢٤ بنتـــا وشاب . وتتوفر الان مادة غنية جدا لبحث تاريخي مقارن حـــول تغيرات ثقافة الشبيبة وحياتها . لقد عرفت نتائج جزئية بتفسيراتها العلمية حتى الان (١٩) .

يواجه العالم بالطبع صعوبات مبينة عند اجراء مثـل هذه الابحاث . لم تتغير في ثلاثين عاما الشبيبة فقط ، وانما الوضع الاقتصادي ايضا الذي يعتبر موضوع البحث كذلك الاقتصاد ، تركيبة السكان الاجتماعية والسنيـــة (العمر) ، قلبت بعض الكولخوزات الى سوفخوزات .

فاذا اعتبر الباحثون في الماضي الاقتصاديات المشمولة بالبحث نموذجية لـ «رايون» حقـــا ، فانها اليوم لا تعتبر كذلك بعد .

كانت مسألة اختيار موضوع البحث ، المسألة الاولى التي انتصبت امام الباحثين . ويجب مراعاتهم للتقسيمات الادارية المعاصرة . اذ شمل البحث بشكل رئيسي مناطق موسكو ، كورسك ، بلفورودســـك ، شاركوفســـك ، بولتافسك ، تشيوكاسك ، غوملسك ، روستوفســـك ، اومسك و تيرمنسك .

لكن بأي الاقتصاديات تم الاستفتـــاء ؟ فاذا اتبعت القواعد التاريخية الدقيقة للتحليل المقارن ، توجب استفتاء شبيبة نفس القرية التي تم استفتاءها في الثلاثينيات ، تعطي نتائج الابحاث نظرة في ثقافة وحياة شبيبة الكولخوز .

فاذا انطلقنا من هذا البحث ، فان علينا استفتاء شبيبة هذه الكولخوزات . استفتى المؤلفون بشكل عام شبيبة الكولخوزات التي اجريت بينها ابحاث عام ١٩٣٨ . وفي الحالات التي قلبت فيها الكولخوزات الى سوفخوزات ، اختير في منطقة رايون ، اقتصاديات اخرى مشابهة تقريبا. ومع الاسف لم تتحدث المقالة عن المعايير التي تم «تشابه» الاقتصاديات على اساسها (٢٠) . وتبقى مسألة الكولخوزات الباقية غامضة ايضا . ان الاقتصاديات التي كانت نموذجية لـ «رايون» في الماضي ، لم تعد حاليا (اذا اعيد بحثها) كذلك .

ما يهم القارىء هو الاختيار الذي تمت الاستنتاجات على اساسه . لم يبق هذا البحث حاليا على توافق مع مجموعة الاساس ، وانما يعتمد بشكل رئيسي على المعطيات الكمية للبحث السابق . لقد اعتمد نفس توزيع الاستمارات الذي اخذ في الماضي تقريبا . لذلك يبقى الاختيار بالنسبة للميزات المهنية والثقافية غير معلل في كل الاحوال . لذلك فان نتائج الابحاث التي تم التوصل اليها لا تنطبق الا على مجموعة الاختيار فقط (٥٤٢٤ مستفتى من شباب القرية). لذا فان البحث الذي تم على اساس اختيار الصدفة لوحدات المشاهدة في مناطق البحث ، يعكس الى حد ما اتجاهات العمليات الاجتماعية ـ الثقافية .

وتؤكد الطرق الرياضية مصداقية دلالات البحث المجرى .

كان تنظيم جمع المواد كما يلي : تم الاستفتاء بمساعدة العاملين بالكومسمول مسترشدين بتعليمات معدة في عملهم. بعض الكلمات حول مصداقية الاستمارة من وجهة نظر امكانية استخدامها . فالمؤرخ الذي عمل في تعبئة الاستمارات في الماضي ، لا يستطيع الان تصحيحها . ولاستخدام معطياتها وتفسيرات ما تم الوصول اليه من اجوبة بالطبع جوانبه الايجابية والسلبية المرتبطة بذلك ، ويجب ان يوضح ذلك بمثال .

في احدى استمارات ۱۹۳۸ ، سئل الشباب عن اهتماماتهم الثقافية ، وذلك فيما اذا قرئت المؤلفات الشبيبية للادب الروسي الكلاسيكي والسوفياتي مثل «الأم» لغوركي ، «اويفن أونيفن» لبوشكين ، «الارواح الميتة» لغوغول ، «آنا كارنينا» لتولستوي . بقيت هذه المؤلفات بالاستفتاء الجديد ، لكنه أضيف اليها مؤلفات اخرى .

يسأل في بداية الاستمارة عن معطيات بنيوية اجتماعية للشخص ، كعدد سنوات الدراسة والمدرسة التي تعلم فيها الشاب . ومن المعروف ان هذه المؤلفات تعالج في المدرسة. فيجيب الشاب ، بالايجاب ، عندما يسأل عن قراءته لهذه الاعمال . وتثبت الاجابة على هذا السؤال فقط ، الى اي مدى تم اكمال المنهاج التعليمي . ويسأل الشاب ايضا عن احب الكتب اليه . عندما يسأل انسان عن احب الكتب لديه متضمنة بالسؤال ، سيجيب على ذلك سيكولوجياً بالايجاب

مع انه لم يقراها . لذلك من المفيد طرح اسئلة متعددة . واكثر من ذلك يمكن ان يشعر المستفتى بالضيق وعدم الاطلاع والتخلف بالمقارنة مع اقرانه . وعلينا اتخاذ شكل سؤال شبيه بالاستفتاء الجديد ايضا .

جمعت من خلال هذا البحث مادة احصائية واسعة (مجلدين من جداول التوزيع) ويعتبر هذا مصدر من الدرجة الثانية للمؤرخين .

ويمكن للباحثين من جميع الاختصاصات استخدام هذه المادة لاهدافهم . يعتبر هذا البحث حسب طابعه بحثا مقارنا تاريخيا ـ عيانيا .

يتضمن التحليل السوسيولوجي دوما طبيعة عمل نظامما وآلية التأثير المتبادل لعناصره ، ويوضح كيفية تكرار بعض الظواهر والعمليات . وبهذا المنحى تحد نتائج البحث من امكانيات الباحثين . ولاحظ أ. ج ستراموميسلوف Strawomyslow بحق ، ان التوجهات النظرية لبرنامج البحث تتحدد من خلال المعرفة المتوفرة بموضوع البحث وكيف يتم اخذها بعين الاعتبار في ذلك البرنامج . ويتوقف على ذلك طريقة البحث بكاملها ، طابع مصادر المعلومات المحللة ، عمق واتساع التحليل لدائرة المسائل المبحوثة (٢١).

أعير ، في دراسة ثقافة الشباب وحياتهم ، اعداد الاحصاءات للمواد المجموعة وتحليلها الاحصائي اهمية كبيرة (٢٢) . لقد طبقت طرق احصائية مختلفة في التحليل،

يتطلب وصفها نشرة اخرى .

في هذا كما في غيره من الابحاث التاريخية المقارنة مقارنة بالماضي ، يحدد هذه المقارنة النتائج التي تم التوصل اليها والاستمارات المعالجة في الماضي . لذلك تخول المادة المنشورة بالسؤال ، فيما اذا كان علينا استخدام مراجع اخرى . خاصة وأن تغيرات كثيرة في تركيبات المهن ، في مستوى تعليم الشبيبة من مختلف مجموعات الاعمار ، والتي تم تحليلها بالاعتماد على الاستفتاء ، اصبحت معروفة لدينا من خلال المواد الاحصائية لمؤسسات الدولة .

من الطبيعي ان لا يتم تحليل مقارن ، الا حسب معايير مقارنة وضيقة . تحتوي استمارة عام ١٩٣٨ على الجرائد فقط التي تقرأ او لا تقرأ . ولم يثبت في استمارة عام١٩٦٩ قراءة الجرائد فحسب ، بل المجلات ايضا . تقارن هذه المعطيات ببعضها . ويكتب الباحثون في هذا السياق عن ازدياد وتاثر القراءة ، رغم ان الحكم على ذلك يتأتى من خلال استمارة عام ١٩٦٩ فقط والتي تسجل «القراءة المستمرة» ، «من حين لآخر» و «عدم القراءة» .

يقارن المؤلفون مستوى التعليم والتقاليد الثقافية للشباب والبنات في كل المناطق مثل شبيبة مناطق غوميليسك وموسكو . ولم تعلل فيما اذا كانت معطيات الاستفتاء نموذجية لهذه المناطق .

لنعالج تفسيرات بعض المعطيات يستنتج من وقائع البحث ، انه من الضروري بناء الكادر الشبيبي المؤهل في

الزراعة(٢٣). ويعتبر هذا الاستنتاج على جانب كبير من الاهمية الاجتماعية. لذلك فان الحجج الدامغة التي قدمت لتأكيد ذلك ، تهم كل فرد (٢٤). وتشكل اجابات شبيبة الريف على الاسئلة «أيعجبك عملك ؟» او «هل تتمنى ممارسة عمل آخر ؟» اساس هذا الجدل . اولا ، يجب الاضافة للسؤال استطرادا ، ليشمل الرغبة في ممارسة عمل آخر في القرية او المدينة . فعندما لا يجد الانسان عملا في المدينة يتناسب ورغباته ، يرضيه بالتأكيد العمل في القرية .

ثانيا : باتباع قواعد البحث السوسيولوجي ، يتوجب علينا مقابلة عدد الشبيبة القانعة بعملها (٦٩ر٢ بالمئة) ، بمن لا يرغبون ممارسة اي عمل (٦٤ر٩ بالمئة)(٢٥)، وحساب عدد الناس الذين تتوافق اجاباتهم على هذين السؤالين . من هذه المجموعة ، يعتبر القانعين بأعمالهم .

قدم سوسيولوجيو لينينغراد ، الذين حللوا علاقات الشبيبة بالعمل سؤالا ضابطا آخر : «هل ستعود لمكان عملك السابق ، اذا سرحت من عملك الحالي لسبب ما ؟» . فقط الاجابات الايجابية على كل من الاسئلة المطروحة ، والتي تمثل علاقة الناس بأعمالهم ، تقدر كقناعة بالعمل . ويشكل هؤلاء ٥١ر١ بالمئة من شبيبة لينينغراد .

بوجه الاجمال ، ساهمت المادة المجموعة في تعميق تصوراتنا حول مشاركة الشبيبة في ادارة الانتاج والمجتمع، وحول المعايير الخلقية في الحياة وبعض عناصر الثقافة الروحية .

لقد عمقت معالجة نتائج الابحاث السوسيولوجية السابقة تجاربنا وثبتتها . ونعتقد بأنها غنية بالعلم ، وافتتحت آفاقا للاستدلال على مصادر جديدة لاعمال سوسيولوجيـــة تاريخية .

أدوات السوسيولوجيين سلاح المؤرخين

١ ـ المناهج الحسابية كمساعد للتحليل التاريخي .

يعتبر دخول المناهج الرياضية في العلوم الاجتماعية ومن خلالها التاريخية ، مرحلة جديدة في تطور منهجية البحث وتقنيته . وفي الآونة الاخيرة ، نلاحظ الطموح بوضوح نحو نتائج بحث دقيقة واعداد استنتاجات معللة من كافة الجوانب . وكان ذلك رد فعل عى المنهج التوضيحي الواسع الانتشار في الماضي ، حيث تحل الامثلة الفردية فيه ، محل تحليل مجموعة الحقائق .

كتب لينين في «الاحصاء والسوسيولوجيا» : «هناك طريقة خاطئة ومنتشرة بشكل هائل في مجال الظواهر الاجتماعية ، اي تناول الحقائق الفردية واللعب البهلواني

بالامثلة ... تعتبر الحقائق ، عندما تؤخذ بكليتها ، بعلاقتها ، بأمورها المستعصية وقوة اثباتها المطلقة . وعندما تؤخذ الحقائق افراديا ، منفصلة عن كليتها ، منفصلة عن علاقتها ، والوقائع مليئة بالثغرات ومتناولة عشوائيا ، فان ذلك ليس الا لعبا بهلوانيا بالوقائع او شيئا اردا من ذلك» (١) . ويشير بعد ذلك : «... يعتمد ذلك على عدم تناول الحقائق منفصلة ، وانما رؤيتها كجملة متكاملة للوقائع المتعلقة بالمسألة المطروحة ، دونما اي استثناء ، والا فالغرق بالشك لا محالة ، وبالشك المبرر تماما ، من ان الحقائق اختيرت وركبت اراديا ، بحيث انها لا تمثل الترابط الموضوعي والعلاقة المتبادلة الموضوعية للظواهر التاريخية في كليتها وحسب ، وانما تقوم على تبرير ذاتي مصطنع لشيء ، ربما كان قبيحا ايضا . يحدث ذلك ... اكثر مما نفكر» (٢) .

ان تعميق تحليل العوامل المبحوثة والبرهان العلمي ، ادى حتميا لاستخدام مناهج حسابية . وبنفس الوقت نمت مكانة العلم الدقيق في نظر الراي الاجتماعي والذي ساهمت فيه الرياضيات ، الفيزياء والعلوم الطبيعية الاخرى .

استخدمت المناهج الرياضية في الابحاث الاجتماعية والاقتصادية قبل غيرها من العلوم الاجتماعية ، وان لذلك بعض الاسباب. فعلى السوسيولوجي ان يتعامل في الغالبية العظمى من الحالات مع تعميم وقائع المشاهدة الكثيرة جدا. وتعتبر عمليات التنبؤ عنصرا آخرا في البحث الاجتماعي

العياني . وتسهل المناهج الرياضية النشاط التحليلي في هذا المجال من المهام . ان السوسيولوجيا علم حديث غير مثقل جدا بمناهج البحث التقليدية ، حيث نشق من خلاله طريقا لادخال الطرق الرياضيةفي مجال علم آخر من العلوم الاجتماعية . لا زال ينتشر حتى ايامنا بين ممثلي فروع العلوم الاجتماعية موقف الشك تجاه تطبيق مناهج رياضية على ظواهر العالم الذاتي (مصالح ، حاجات ، آراء ، امزجة الناس) ، وخاصة بين اولئك ، الذين يتعاطون قليلا مع تحليل العمليات الاجتماعية ـ الاقتصادية . ونشير الى عدم امكانية صياغة هذه المفاهيم وقياسها . فالتحليل الحسابي لمثل هذه الظواهر يتطلب في الواقع من ناحية صياغتها وقياسها ، عملا فيه مضيعة للوقت والجهد . ويصبح هذا العمل بالتأكيد ضرورة مطلقة ، عندما يراد تحليل العلاقات المتبادلة بين العوامل الموضوعية والذاتية ، بين الظواهر الذاتية نفسها . في الاحصاء الرياضي هناك مجال خاص ، يهتم بالتحليل الاحصائي للميزات النوعية . لقد بدأ استخدامه في العلوم الاجتماعية وخاصة السوسيولوجيا .

كتب أ. ج اغانبيغيان Aganbegjan و ف. ف شوبكين Scubkin : «لا يوجد ظواهر ، لا يمكن التعبير عنها كميا . وتداعى حتى الان بشكل قليل جدا مسألة التغيرات الكمية التدريجية في الحياة اليومية الى سمات نوعية . ان معارضي المناهج الرياضية في السوسيولوجيا يقدرون،

على سبيل المثال ، من خلال امتحان ١٥ ـ ٢٠ دقيقة عمق معرفة الطلاب ـ لنقل في الفلسفة ـ بجسارة ، حسب نظام الخمس علامات» (٣) . تتطلب صياغة المادة وقياسها مراعاة المعرفة الدقيقة بطبيعة الحقائق وبجميع جوانب تلك الظواهر التي يجب قياسها .

فقط ضمن هذه الشروط ، تسمح المناهج الرياضية والاحصائية بامكانيات متعددة لتحليل مقارن ، يوضح دينامية العمليات ، مع مراعاة التأثير المتبادل للعوامل المتعددة ، ويكشف العلاقات الاساسية في تطور العمليات والظواهر . «يصل العلم لكماله عندما ينجح باستخدامه للرياضيات» (٤) .

يحدد اهتمام المؤرخين باستخدام مناهج رياضية من خلال توفر الوقائع الجماهيرية ، والتي يسهل تحليلها من خلال طرق احصائية وفي مقدمتها استخدام نظرية الاختيار . وهذا المجال بكامله من الاحصاء الرياضي قابل للاستخدام من قبل المؤرخ . وليس من النادر ان يضطر المؤرخ للاكتفاء بوقائع مختارة غير متكاملة حول بعض العمليات والظواهر ، كما ان عليه ان يوضح دوما ، الى اي مدى يمكنه استخدامها . تساعدنا التجارب اللينينية في تحليل التغيرات الاجتماعية ، ان نقدر بدقة المغزى العلمي لطرق الاختيار . كان من المسموح به بالنسبة الى لينين تضييق حجم التعداد ، عندما تقتضي ذلك ضرورة العمل ، أم عدم كفاية القوى والوسائل . ويلفت النظر بنفس الوقت

الى ان تمثيل التعداد رديء .

بمناسبة اختبار مشاركة التعاونيات في تجهيز المواد الغذائية ، كتب لينين : «هدف الاختيار : البحث الشامل على الاقل في بعض الحقائق ، ولكن النموذجية والثابتة تماما في الاتجاه ، اية منتجات وبأية كمية وكيف استوعبت، جمعت ، أمنت ، ونقلت ... وهكذا» (٥) .

تتطابق الدراسات المونوغرافية لبعض القرى تقريبا مع الابحاث المختارة لمواضيع نموذجية . ويرى لينين امكانية استخدامها في الوصف الشامل للمواضيع المميزة . واخيرا يعتبر منهج الاختيار طريقة بحث لجميع الحالات التي يتوجب فيها استيعاب الميول . وثبت ان القيم التقريبية كافية لذلك . تعتمد مزاعم بعض الناقدين من ان منهج الاختيار لا يسمح بمراعاة نوعية الحقائق ، على وحدة النمط فيه ، اذ ان الاختيار ينطلق من الحقائق والظواهر النوعية التي تهم الباحث . ويشار في اماكن اخرى الى اشكال الاختيار المختلفة والمطبقة في تحليل الظواهر الاجتماعية .

نجد في الارشيف مصادر غنية وموسعة . انها مواد تعداد المهن لعام ١٩١٨ ، مجموع الموظفين في جهاز الدولة المركزي لعام ١٩٢٢ وسلسلة من الابحاث الاخرى اجرتها اجهزة الحزب والاقتصاد والنقابات .

عولجت هذه المواد سابقا اما حسب برامج قصيرة جدا او لم تعالج بتاتا . ويمكن اليوم ان يعدها المؤرخون حسب تجمعات اهتماماتهم . وهناك امكانية لتحليل اختباري

لاستمارات الاحصاء . فتحتوي على سبيل المثال المـــواد الاولية لتعداد الموظفين عام ١٩٢٢ ، معطيات حول مـــدة الانتساب للحزب وحول تجارب قادة الدولة والعاملين في الحزب ، الذين قادوا البناء الاشتراكي في السنوات الاولى للسلطة السوفياتية .

ويمكن للمؤرخ المهتم بتاريخ الحزب ، ان يقيم استمارات احصاء الموظفين لعام ١٩٢٢ من وجهة نظره اذا اختار من بينها استمارات الشيوعيين . وفي النهاية يجب عليه اثبات نموذجية الاختيار على اساس المعرفة العامة بعدد الاعضاء، ومن بينهم التابعين لجهاز الدولة .

الى جانب نظرية الاختيار يمكن للمؤرخين استخدام مجالات الاحصاء الرياضي الأخرى . فمنذ فترة طويلة يعمل المؤرخون ، على سبيل المثال ، بتجمعات ، ويجرون حسابات جزئية ونسبية .

من الممكن في مرحلة تطور العلم المعاصرة إستخــدام مناهج أخرى ، ترفع المستوى النوعي لتحليل الحقائـــق الاحصائية .

يوجه القارىء نحو طريقة احصائية ، اي حســـاب التفاوت بالنسبة للقيمة الوسطية . لا يندر ان يتعامـــل الباحث مع مثـــل هذه الحقائق ، والتي يملك من اجلهـا الكثير من الدلالات دون ان يكون لديه تصورا اجماليا لشكل هذه المجموعة . لذا تنتصب امامه مسألة معالجة موجـــز

لمجموع الدلالات ، نجد في الاحصاء الرياضي طريقة لذلك، الا وهي المتوسط الحسابي . لكن المتوسط الحسابي لا يعكس تفاوت الدلالات الفردية . فعندما يهم هذا التفاوت الباحث ، توجب عليه حساب مربع وسطي التفاوت ويمكن اجراء تحليل مشابه للدلالات حول اجر العمل ، ووفاء الشغيلة بقسطهم من العمل في فروع الصناعة المختلفة او المهن المختلفة وهكذا ... يجب هنا ملاحظة ان مربع التفاوت الوسطي لا تستخدم بالمقارنة المتكررة ، حيث ان الوقائع تختلف جوهريا عن تعبيرها العددي . ففي كثير من الحالات يطبق المعادل المتنوع .

في تحليل التقارب لمستويات التطور الاقتصادي والثقافي لجمهوريات الاتحاد ، تكتسب دلالات التغيرات الاجتماعية على سبيل المثال اهمية كبيرة ، تثبت النجاحات الاقتصادية والثقافية التي حققها الشعب السوفياتي ، وتستخدم جداول احصائية في تحليل البنية الاجتماعية لسكان جمهوريات الاتحاد ، تعبر عن علاقات العمال ، الموظفين والفلاحين ، وعلاقات سكان المدينة والريف في كل جمهورية . يمثل كل هامش سلسلة حية ، ويمكن اجراء المقارنة بينها في أي زمان (انظر الجدول ٢) .

جدول رقم ٢

نسبة العمال والموظفين بين سكان جمهوريات الاتحاد
(بالمئة ٪) (٦)

جمهوريات الاتحاد	١٩٥٨	١٩٦٥
روسيا الاتحادية	٢٩ر٨	٣٧ر٦
اوكرانيا	٢٢ر٣	٢٩ر٦
بيلوروسيا	١٨ر٥	٢٨ر٤
أوزبكستان	١٦ر٩	٢٦ر٠
كازاخستان	٢٧ر٨	٣٢ر٠
جورجيا	٢٠ر٣	٢٦ر٦
أذربيجان	١٨ر١	٢٢ر٨
ليتوانيا	٢٠ر٥	٣١ر٤
مولدافيا	١٣ر١	٢٠ر٤
لتلاند	٣٠ر٧	٤٠ر٤
فرغيزيا	١٧ر٦	٢٣ر٦
طاجاكستان	١٣ر٩	١٧ر٥
أرمينيا	٢٠ر٥	٢٩ر٥
تركمانيا	١٧ر٨	٢٠ر٦
ايستلاند	٣٣ر٥	٤٣ر٥

يقارن المؤرخون والفلاسفة عادة في تحليل الجداول المتشابهة الدلالات القصوى فقط . فيقارن الدلالة القصوى لنسبة العمال والموظفين في ايستلاند (١٩٥٨ ـ ٣٣ر٥ بالمئة) بالدنيا (مولدافيا ١٣ر١ بالمئة) . ان الفرق بينهما يساوي ٢٠ر٤ بالمئة . ازداد هذا الفرق عام ١٩٦٥ فأصبح ٢٣ر١ بالمئة . فاذا اقتصرنا على هذا الرقم بالتحليل ، لا يمكننا الا ان نستنتج ان الفروق بين الجمهوريات قد زادت نسبة لهذه الدلالة الاجتماعية . انما هذا الاستنتاج يعتبر خاطئا ، لانه لا يراعي التغيرات داخل سلسلة الدلالات . ويبقى السؤال مطروحا ، فيما اذا تغيرت العلاقات بين الجمهوريات ، اذا حذفنا الارقام القصوى . ان حساب المعادل المتنوع على اساس اقسام الجدول الذي أعددناه، يبين ان الفرق بينها لم يزداد . فكان ٢٦ بالمئة عام ١٩٥٨ وكذلك في ١٩٦٥ . لم يراع هنا الفرق بين الدلالات القصوى . وبمعنى آخر لم تزداد الفروق بين الجمهوريات حسب نسبة العمال والموظفين . وطرق احصاء الرياضي مكنتنا من هذا الاستنتاج .

من الطبيعي ان تعتبر حسابات النسبة المئوية اسهل الطرق واكثرها فهما لدى المؤرخين حيث تكمن هنا افضليتها . لذلك استخدم المؤرخون طرق التحليل الرياضي ، التي جربها السوسيولوجيون سابقا بنجاح ، مثل حساب «معادل الارتباط الريفي» . فمن اجل تحليل الارتباط علينا ترتيب الادلة . يسمى ترتيب الارقام الدالة

بالسوسيولوجيا «التعبير Skalierung » ان مهمة التعبير الرئيسية تتمثل في تنسيق الدلالات الكمية كملامح نوعية متمايزة . وبهذا تضمن امكانية المقارنة بين الوقائع المتمايزة .

عرض أ. ج سترافوميسلوف A. G Strawomyslow في كتابه «مناهج وطرق الابحاث السوسيولوجية» مثلا مناسبا للمؤرخين ، موضحا بذلك معنى «الترابط المرتبي» Rang Korrelation . انه درجة الارتباط بين تلك السمات كالكشف عن اجر العمل واستقرار مجموعات المهن. من اجل هذا الهدف تنسق مجموعات المهن الخاضعة للبحث حسب ميزتين من الاهتمامات : يسجل استقرار مجموعة المهن (من الحد الاقصى حتى الادنى) على احد جوانب الصفحة ، واجر العمل على الوجه الآخر للصفحة (كذلك من الحد الاقصى حتى الادنى) (انظر الجدول ٣) .

فاذا توافق العامودان ، دل ذلك على تبعية قوية بين السمات المبحوثة . اي ان اجر العمل هو العامل الحاسم في استقرار المهن . ولكن يندر ان نصادف مثل هذه التبعية . ودرجة توافق العامودين تنتج عن حساب معامل الارتباط المرتبي .

يدل معامل الارتباط المرتبي بالمثل المشار اليه على درجة عالية من التبعية بين استقرار مجموعات المهن واجور العمل . لقد استخدم سوسيولوجيو نوفوسبرسك هذا المعامل مرارا في تحديد ترابط السمات .

جدول رقم ٣

المرتبة	معيار استقرار المهنة	٪ نسبة العمال الذين بدلوا مهنتهم
١	ميكانيكي حدادة	٨ر٢٦
٢	فني تركيب راديو وكهرباء	٥ر٣٤
٣	عامل تعدين / سبّاك	٥ر٣٥
٤	عامل كيمياء	٧ر٤٠
٥	حذّاء وسرّاج	٢ر٤١
٦	مهن اخرى في الصناعة	٥ر٤٣
٧	خرّاط	٦ر٤٨
٨	عامل البسة جاهزة	٤ر٤٩
٩	بنّاء	١ر٦١
١٠	عامل مساعد	٨ر٦٢
١١	عامل نسيج	٤ر٦٥
١٢	مهن غير صناعية	٨ر٧٥

معيار أجر العمل	معدل أجر العمل
عامل تعدين / سبّاك	١٠٦ر٤
بنّاء	١٠٠ر٢
ميكانيكي حدادة	٩٨ر٨
فني تركيب راديو وكهرباء	٩٢ر٢
خرّاط	٩٢ر٢
مهن أخرى في الصناعة	٨٣ر٠
عامل كيمياء	٨٢ر٠
عامل مساعد	٧٩ر٨
عامل نسيج	٧٦ر١
حذّاء وسرّاج	٧٥ر٠
مهن غير صناعية	٧٢ر٤
عامل ملابس جاهزة	٦٨ر٤

في الآونة الاخـــيرة يبرز « معامل تشوبـــروف Tschuprow » ، دوما بشكل اقوى ، في تحليل الدلالات النوعية المعتمدة على المواقف والآراء . انه يثبت كذلك درجة التبعية بين السمات . في دراسة عمليات اثنية في جمهورية التتار طبق «معامل تشوبروف» في تحديد درجة التابعية بين الجنسية والحركة الاجتماعية ، بين المواقف حـــول العلاقات الحميمة بين القوميات في تعاونيات الانتاج ، في العائلة وبين التعليم والنشاط المهني ، والعمر الخ ..

اكد هذا المنهج الرياضي الاستنتاجات المستندة لتحاليل منطقية وكمية ، انه لا يوجد تأثير للقومية على الوضـــع الاجتماعي للناس ضمن ظروف الاتحاد السوفياتي المعاصرة (في الاتحاد السوفياتي ـ هيئة التحرير الالمانية) .

والمنهج الآخر للاستيعاب الكمي لمحتوى مصادر المعلومات المختلفةهو تحليل المحتوى. ويعتبر هذا تحليلا كميا ـ نوعيا لمحتويات النص . لم تستخـــدم حتى الان الا مـــن السوسيولوجيين عندما يتعاملون في تحليـــل النصوص ، التي تتكرر فيها هذه السمة النوعية او تلك بكثرة . يتعامل المؤرخ عادة بوثائق ، يتوجب عليه الوصول الى استنتاجات على اساسها . تعتبر صياغة المواد المتوفرة وقياسها الكمي طريقة موثوقة .

فالمصادر المتنوعة كالجرائد ، رسائـــل الشغيلة ، المذكرات ، بريد المستمعين للجنة الاذاعـــة الحكومية او التلفزيون ، قوائم الفائزين والميزات الخ . يمكن تحليلهـــا

حسب هذا المنهج . لم يطبق تحليل المحتوى حتى الان في السوسيولوجيا السوفياتيـــة الا نادرا ، لكن تأثــيره لا جدال فيه .

حلـــل س. فيرشلوفسكـــي Werschlowskij ، ف. كوبساري Kobsari و ي. سالونين ، بهذا المنهج استيعاب مفاهيم الدعاية الاخلاقية في مدارس ليلية ونهارية للتلاميـــذ والبالغين (٩) . واستخـــدم أ. ف بارانوف «تحليل المحتوى» في تحليل محتوى جريدة الازفيستيا (خلال فترة ٤٥ عاما) ، لدراسة دوافع السلوك الانساني (١٠) .

في استخدام تحليل المحتوى ، هناك فروق اساسيـة بين السوسيولوجيين البورجوازيين والسوفيات . ان ما يميز السوسيولوجيين البورجوازيين اخذهم الشكلي لتحليل النصوص ، اما السوسيولوجيون السوفيـــات فيميزون بنظرتهم المرتبطة بالحدث . لا يثبتون تكرار اية تسميـــة للكلمات ، وانما احكاما وأحداث .

على اساس تحليل المحتوى درست مواد وسائـــل الاتصال الجماهيري بمحتوى الجرائد ، المجلات ، الارسال الاذاعي والتلفزيوني ، لعكس وضع اجهزة الدعاية : نوايـا هيئات التحرير ، التوجيهات الدعائية ونوعية كل مصـــدر اعلامي .

ان جهاز الاتصال الجماهيري يعمـــل في المجتمع . فالظواهر والعمليات التي تتم في المجتمع ، تحدد محتوى

المواد وتظهر في اخبار الصحف وعلى شاشة السينما الخ.
ذلك يعني ان تحليل البث الاذاعي والتلفزيوني والصحافة استنادا الى تحليل المحتوى يوصلنا الى تصور حول :
اولا في اي اتجاه تم العمل الدعائي الايديولوجي ، واي الطرق والمناهج استخدمت في ذلك ، وثانيا : الى اي مدى وفت كل وسيلة اتصال جماهيري بعمل التغطية الاخبارية حول هذا الحدث او ذاك . واخيرا يعتبر بالنسبة للمؤرخ من الاهمية بمكان خلال محتوى الجرائد ، والارسال الاذاعي والتلفزيوني ، ان نتمكن من الحكم على حالة المجتمع نفسه، درجة انتشار القيم الاجتماعية والظواهر المتميزة في هذا المجال او ذاك من الحياة الاجتماعية .

ويمكن لمصادر اخرى ايضا كالوسائل والمذكرات وحسب طبيعتها ان تحتوي معلومات متنوعة .

من جهة تعكس مفاهيم المؤلف ، وتحتوي من جهة اخرى حقائق محددة وظواهر للحياة الاجتماعية ، تعبر عن تصورات للقيم والاخلاق الموجودة في المجتمع .

علينا اولا تحديد موثوقية كل مصدر يتم بحثه على اساس تحليل المحتوى ، اي فيما اذا كان يحتوي المصدر معلومات دقيقة وضرورية للتحليل . بعد تحديد موثوقية المصدر ، ننتقل لتحليل المحتوى . ففي المثل ، حول دراسة مواد وسيلة الاتصال الجماهيري ، ينبغي توضيح مسار التحليل .

يقوم تحليل المحتوى بمهمة من قال ، وماذا ولأي هدف

(تتضمن المهمة ايضا ، تحديد فاعلية تأثير المعلومات) . يعتبر الحكم او الحدث هو المعيار . لقد برز في الابحاث السوسيولوجية السوفياتية عادة ، هذا الحكم او ذلك كمعيار .

وهناك حالات معروفة كان معيارها قادة سياسيين ، معاهد ، مؤسسات اجتماعية او حقائق واحداث . فتكرار دوام حدث ما او تسمية قائد سياسي ما ، يدل على اهمية الحدث او القائد في حياة البلاد الاجتماعية .

لا يقاس تكرار الحدث لحكم ما كميا فقط ، وانما مدى اتساعه واستمراريته ايضا ، اي وعلى سبيل المثال : يشمل ذلك فترة ذكر حكم ما بالجريدة وبأية احرف طباعة كتب . واكثر من ذلك : بأي شكل تم توضيح الحكم (بشكل حديث، ادبي الخ ..) ، ذلك يعني ان يقاس لون عاطفة الحكم يبين فيما اذا تم الحدث ام ان المؤلف يدعو القارىء لذلك ، ويسجل التأليف ، اي عبر عن الحكم في جريدة رسمية ، من هيئة تحرير او كاتب (مدير معمل ، مدير معهد ، عامل، فلاح كولخوز ، عالم فنان . الخ ..) .

شملت الدراسة التي اجراها أ. ف بارانوف Baranow دوافع السلوك الفردي للافراد من خلال تحليل احد الجرائد .

أجري في البداية تحليل اولي لاغلب دوافع السلوك الفردي التي يمكن ان نصادفها ، وللدوافع التي يمكن ان تؤثر سلبا وايجابا في سلوك الافراد . اسفر تحليل المواد ،

عن ان المشاعر القومية ظهرت كدوافع سلوك سلبي للافراد في السنوات الاولى للسلطة السوفياتية (شملت المواد فترات محددة حسب التسلسل الزمني ـ ١٩١٩ ، ١٩٢٤ ، ١٩٢٩، ١٩٣٤ ، ١٩٣٩ ، ١٩٤٤، ١٩٥٤ ، ١٩٦٤ـ). يختفي ذكر المشاعر القومية كدافع لسلوك سلبي عام ١٩٢٩، وتبرز منذ عام ١٩٣٤ كحافز لسلوك ايجابي وتظهر المشاعر القومية بصورة خاصة كدافع للسلوك الايجابي اثناء الحرب الوطنية الكبرى . لقد ابرز التحليل الكمي ـ الكيفي لمواد الصحف نجاحات المسألة القومية والتغيرات في العلاقات بين الامم.

أجري في معهدنا تحليل للصحف والنشرات الاذاعية في مسائل التربية الامية لفاعلية وسيلة الاتصال الجماهيري . لذلك تم تقييم مواد الارسال الاذاعي والتلفزيوني وكذلك بعض الجرائد المحلية في جمهورية التتار الاشتراكية والبرافدا (من ١٩٦٥ ـ ١٩٦٧) .

كان الحكم هو وحدة القياس .

المسألة التي لقيت اهتمامنا ، كم مرة تظهر على صفحات وشاشة التلفزيون موادا تتعلق بالصداقة والمساعدة المتبادلة بين القوميات وشعوب بلادنا ، في جمهوريات الاتحاد وذات الحكم الذاتي ، والى اي مدى تروج الصحافة المحلية لمنجزات الشعوب الاخرى الثقافية والتاريخية ، وما هو مقدار معالجة المادة المحلّلة لشعور الاحترام تجاه تاريخ وثقافة الشعوب والقوميات الاخرى .

لقد قيس كميا تكرار المسائل التي تهمنا في الاعلام الاذاعي

ومدة ارسالها . في تحليل للجرائد ، شمل عدد مـــرات النشر ومكانها (عدد الاسطر ، شكل الكتابة) . وروعي ايضا مكان ورود الحكم ـ في مقال او قسم الاخبار ـ ، وممن كتب الحكم . أدى التحليل للنتيجة التالية: نشرت البرافدا بشكل منتظم تعليقات (مرة كل عددين) تساهم في بنـــاء نظرة أممية . وانطبق ذلك على المقالات (٥٠ بالمئة مـــن الحالات) وتعليقات (٥٠ بالمئة من الحالات) .

غالبا ما تتم توضيحات الاممية كمجرد اعلام ، بل اعتمد المحررون والكتّاب على أحداث ووقائع ، (الاحكـــــام تعكس الواقع) .

كانت البرافدا تعلم قراءها عن حياة شعوب بلادنا من كافة جوانبها .

أدى تحليل الصحافة المحلية للنتيجـــــة التالية : ان الجرائد الصادرة باللغة التتارية (تعتبر أهم وسيلة اعــــلام لجزء كبير من سكان المناطق الزراعية) ، لم تنشر مواد كافية حول حياة الشعوب الاخرى في بلادنـــا . لقد اجــــري تحليل المحتوى حسب منهج الاختيار ايضا . عندما بحث ترويج أفكار الاصلاح الاقتصادي أواسط الستينيات ، حلل العاملون في معهد الابحاث الاجتماعية ـ العيانية فــــي أكاديمية العلوم في الاتحاد السوفياتي ، كل عاشر جريدة . كذلك تعتبر رسائل الشغيلة لهيئات تحرير الجرائد مصدرا، فيه طابع جماهيري . كما يمكن ان تكون موضـــوع بحث للمؤرخين ايضا ، حيث تتضمن هذه الرسائل معلومات عن

الشغيلة انفسهم ، عن محيطهم القريب ، عن قضايا الانتاج والسياسة والفن ، وتعبر عن بعض اهتمامات الافـــراد وتوجهاتهم القيمية وحاجاتهم . تشكل الرسائل التي وصلت لهيئة تحرير ما في فترة معينة مجموعة الاساس للبحث . ويمكن ان تحلل ككل او يختار جزء منها ، على سبيل المثال، طلب قسم الابحاث السوسيولوجية ـ العيانية في معهـد الاثنوغرافيا لاكاديمية العلوم في الاتحاد السوفياتي مـــن هيئة الاذاعة والتلفزيون في جمهورية التتار الاشتراكية ان ترسل نماذج معدة خصيصا للمستمعين ، يتم التأشير فيها على المؤلفات المختلفة . كان هدف البحث دراسة اهتمامات المستمعين وميولهم الموسيقية .

ـ عولجت في معهد التاريخ لجامعة موسكو الحكوميـــة معطيات حول مكافآت الشغيلة ، وتعتبر مصدرا اصيـــلا للحصول على المزايا النفسية للاشخاص المكافئين . وعلى اساس هذا المصدر يمكن الحكم على القيم التي قدرّت اكثر من غيرها في فترة تاريخية معينة .

وبدون مبالغة يمكن القول انه كان من الممكن استخدام تحليل المحتوى من قبل المؤرخين بشكل اساسي اقوى مما استخدم فيه حتى الان (١١) .

تعتبر دراسة وقائع الجماهير عمل مكلف جدا للوقت . لذلك استخدم الباحثون في الآونة الاخيرة آلات حاسبـــة لمعالجة ذلك . لا يسرع استخدامها في حساب الوقائـــع الضخمة ويمكّن من تحليلها وحسب ، بل يسمح خلال وقت

قصير وبمساعدة التحليل الاحصائي ، في كشف العلاقات المتبادلة والمعقدة بين الظواهر الاجتماعية ، السياسية والاقتصادية المختلفة .

لقد عللت في بعض الاعمال الخاصة بشكل مقنع امكانيات وفوائد استخدام الآلات الحاسبة في الابحاث التاريخية ، ووضحت فيها طريقة التحليل والمعالجة . ويتعلق الامر ، قبل كل شيء بالاعمال التالية : «استخدام الآلات الحاسبة في العلوم التاريخية» (موسكو ١٩٦٤) لمؤلفه ف. أ. أوستينوف Ustinow ، استخدام آلات معالجة المعلومات الالكترونية في الابحاث السوسيولوجية (موسكو ١٩٦٨) لمؤلفيه ف. أ. اوستينوف و أ. ف ديف .

ان الاهتمام الذي كرسه المؤرخون لمعالجة المصادر آليا، لم يجد تعبيرا له بالاستخدامات المتنوعة الاخيرة. فبمساعدة آلات معالجة المعلومات أمكننا تتبع تطور الرفاه الاقتصادي لبيوت الفلاحين حسب مواد الجرد الروتيني . بنفس الطريقة عولجت ايضا ، معطيات العمال الشخصية ، ذاتية المهندسين التقنيين ، والموظفين في مجمع تعدين كوزنتسك، بهدف تحليل بناء الكادر الصناعي والاستفادة من مصادر العمل في الفترات التاريخية المختلفة . كما عولج من جديد ايضا ، تعداد الموظفين عام ١٩٢٢ واحصاء مهن العمال لعام ١٩١٨ .

ان استخدام المناهج الرياضية والتقنية الحسابية في العلوم التاريخية ، لا يعني بتاتا عدم تأهيل المؤرخين .

يبقى المؤرخ مختصا بمجاله ، لكن عليه العمل المشترك مع الاخصائيين والرياضيين .

فمن الضروري للتفاهم المتبادل ، ان يعرف الرياضي ميزات العلوم الاجتماعية(١٢)، وان يلم المؤرخ ببعض المعرفة في مجال الاحصاء الرياضي . فعندما تدافع عن الاستخدام الواسع للمناهج الرياضية والحساب التقني ، يجب ان يكون واضحا لدينا ، ان التحليل الرياضي يسهل من امكانية الفهم الانساني ، ولكنه لا يغني عن التحليل المنطقي .

تعلم التجارب حتى الان ان استخدام المناهج الرياضية في تحليل الظواهر الاجتماعية مبرز علميا فقط ، عندما تمحص امكانية استخدام في الحالة الملموسة ، ولا تضر في نوعية الظواهر المبحوثة ، عندما يستخدمها الاخصائي لاتمام تقنية بحثه . ويتوجب على المؤرخ ان يعطي تعليلا منطقيا لمعالجة المعلومات رياضيا ، قبل ان يبدأ الرياضي بعمله ويفسّر النتائج التي تم التوصل اليها .

٢ ـ المصدر يصنعه الباحث ـ

هناك اكثر من طريقة لممارسة البحث السوسيولوجي ، والتي تطبع المناهج التاريخية ايضا . فالمشاهدة تعتبر ، على سبيل المثال ، شرطا ضروريا للمؤرخ من اجل معرفة الواقع المعاصر . فعندما يحلل المؤرخ تاريخ الطبقة العاملة او

الفلاحين في مرحلة التطور المعاصرة ، لا بد له من معرفة معامل الانتاج ، نوادي العمال ، الحياة في الكولخوز وان يجري احاديث مع الناس في المعامل والكولخوزات . ومن الطبيعي ان لا تشابه مشاهدة مشاهدة اخرى . فالمشاهدة السوسيولوجية حسب برنامج معين هي شيء قائم بذاته . والمشاهدة الاخرى لتعرّف المؤرخ على موضوع البحث . فالطريقة (رغم كل الاختلافات في تقنيتها) هي عامة بالنسبة للمؤرخين والسوسيولوجيين وكذلك الاثنوغرافيين . يعتبر تحليل الوثائق منهجا اساسيا للمؤرخ . لكن طريقة التحليل هذه التي أعدها علم التاريخ ، يستخدمها السوسيولوجيون ايضا .

يميز منهج الاستفتاء الابحاث السوسيولوجية ـ العيانية . ويمكن للمؤرخين استخدامه ، ويصنعون من خلاله مصدرا جديدا لابحاثهم . في هذه الحالة يبرز المؤرخ كصانع للوثائق ، وليس هذا بالامر البسيط . فالخطأ الاول الذي يمكن ان يحدثه الجهل ، ينشأ عندما يعتقد المؤرخ ان بامكانه استخدام طريقة الابحاث السوسيولوجية ـ العيانية دونما معرفة خاصة . لا يوجد حتى الان تعليما خاصا في مجال السوسيولوجيا . لكن السوسيولوجيين ، الذين ايقظوا اهتمام المؤرخين بالسوسيولوجيا ، يؤدون عملا كبيرا مثمرا بنقل معرفتهم . تقام محاضرات خاصة في عدد من الجامعات (في جامعات موسكو ، لينينغراد وجامعات اخرى) وفي اكاديمية العلوم الاجتماعية التابعة للجنة

المركزية للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي ، وتنظم ندوات منهجية . لقد وجد ترويج المعارف السوسيولوجية تعبيرا له في نشر الكتب والمقالات حول تقنية ومنهجية البحث ككتب علمية تعليمية لا يمكن استغناء السوسيولوجيون والمؤرخون عنها ، لا بد من القاء نظرة على كتب ف. أ دادوف «منهج وطريقةالابحاث السوسيولوجية» و أ. ج سترافوميسليوف «منهج ـ طريقة الابحاث السوسيولوجية» . ونشرت مقالات قيمة في نشرات جمعية السوسيولوجيين السوفياتية . ويشار في هذا السياق الى ترجمات السوسيولوجيين الاجانب : «مناهج رياضية في السوسيولوجيا البورجوازية الحديثة» (موسكو ١٩٦٦) ، «سوسيولوجيا اليوم ـ مسائل وآفاق» (موسكو ١٩٦٥) وغيرها . ان معرفة هذه الادبيات ضرورة لا بد منها لعمل مؤهل . لقد اقنعتنا الحياة مرارا ، أن المعرفة ليست بديلا بتاتا للتجربة العملية . كما ثبت انه من المفيد حتى للعارفين من بين المؤرخين التشاور مع السوسيولوجيين حول استخدام طرق وتقنية البحث ، اذ ان السوسيولوجيين انفسهم يفحصون منهجهم قبل البدء بالبحث ويناقشون بشكل جماعي امكانية تطبيقه . فمن المعروف على سبيل المثال ، ان جميع مواضيع البحث تناقش في مجلس علمي لمعهد الابحاث السوسيولوجية التابع لاكاديمية العلوم في الاتحاد السوفياتي ، وتصبح كل طريقة بحث موضوعا لجلسات مناقشة .

نشأ في السنوات الاخيرة اختصاص جديد بين السوسيولوجيين . يهتم البعض بقضايا نظرية ، وآخرون بمسائل البحث المنهجية وآخرون ايضا بتقنية الطرق الفردية (على سبيل المثال بتحاليل تجريبية ، بالتعبير ، باعداد وتنفيذ ابحاث الموازنة الخ ..) .

فالادوات التي يستخدمها المؤرخون عادة لافتتاح مصادر جديدة هي المقابلة والاستمارات ، ووجدت استخداما سريعا لها من قبل المؤرخين . لقد استخدم المؤرخون أولى الاستمارات في بداية الستينات لتحليل «الحركة لعمل شيوعي» . في عام ١٩٦٠ ، نشرت مجلة «التاريخ في الاتحاد السوفياتي» (العدد الثالث) ، مقالا بقلم إ. ف باشكيفتش و و. إ شكاراتان (انظر ايضا : «حركة الحاضر الضخمة» ، موسكو ١٩٦٤) حول «حركة العمل الشيوعي» ، حللت فيها تركيبة المشاركين في الحركة . يعتمد التحليل على نتائج الاستفتاء .

نشر في عام ١٩٦٢ المؤرخون الموسكوبيون ف. ك بلينوف ، ف. ب ديمترنكو ، ف. س ليلتشوك و ل. س روغاتشيفسكايا ، العمل «شرف وفخر الطبقة العاملة» . تبين في جمع معطيات البنية الاجتماعية للعمال المشاركين في «حركة العمل الشيوعي» ، انه لم تسجل اهم أحداث حياتهم في ذاتية كادر المعامل . فاضطر هؤلاء العلماء الى الاعتماد على الاستمارات في تحليل ميزات مجموعات العمر ، التعليم ، المهن ، التأهيل ومجموعات اخرى بين المشاركين

في «حركة العمل الشيوعي» . فيما بعد أجرت إ. إ. بايلينا استفتاء لدراسة تأثير «حركة العمل الشيوعي» على تغيرات تركيب الطبقة العاملة(١٤). وآستخدمت استفتاءات ايضا في تحليل تغيرات السيكولوجيا في العلاقات القومية.

عمل أ. ك سوكولوف خريج كلية التاريخ في جامعة موسكو على دراسة الزيجات التي يكون فيها الشريكان من قوميتين مختلفتين . ان زيادتها المتنامية وعلاقتها بالنسبة للزيجات الاخرى ، تعتبر دليلا هاما على التغيرات في العلاقات المتبادلة بين الافراد من قوميات مختلفة .

تم تحليل مواد مكاتب الزواج لعام ١٩٦٨ بمقابلة موحدة تسأل على اساسها الزوجين من قوميتين مختلفتين ، أمكن من خلال جملة اسئلة ، توضيح علاقة الوالدين والاقارب في هذا الزواج لابنائهم . لقد بينت اجابات هذه الاسئلة ، كيف تغيرت العلاقة تجاه الزواج بين القوميات المختلفة خلال جيل .

لا تستنفد الامثلة المقدمة ابدا الامكانيات لاستخدام منهج الاستفتاء في تحليل المسائل المختلفة في تاريخ المجتمع السوفياتي ، ويعتبر ذا قيمة خاصة في دراسة السيكولوجيا الاجتماعية من وجهة نظر تاريخية .

تطرح الاستفتاءات دوما متطلبات محددة على ذاكرة الافراد . فلا يسأل المستفتى عن أحداث تمت في الحاضر وحسب ، بل عن أحداث في الماضي ايضا . لذلك يكتسب الاستفتاء التراجعي Retrospektive Befragung اهمية لدى

المؤرخين ، لانه يعكس ادراك الناس للاحداث وسيكولوجيتهم ونظرتهم للحياة . فالاستفتاء والمقابلة يعتبزان الاساس في نشوء مصادر تاريخية جديدة .

ومن الضروري الاشارة في هذا المنحى الى انه يخطىء كل من يعتقد ان اعداد الاستمارة امرا بسيطا. فالاخصائيون يعرفون جيدا كم من الجهد والمعرفة يتطلب ، ليس لشمول طبيعة الظاهرة الواجب تحليلها فقط ، وانما لامتلاك تقنية البحث ايضا. وهذا هو الاساس في اعتبار السوسيولوجيين اعداد الاستمارة مهمة مؤلفين ، ويشيرون ايضا الى الاسئلة الواجب اعدادها من قبل الباحثين .

ماذا يجب ان يتعلم المؤرخون من استخدام مناهج السوسيولوجيين ؟ قبل كل شيء ، تقنية تنفيذ الاستفتاءات . فدراسة التقنية تعني امتلاك الطريقة الخاصة ككل لاستخدام فاعل للادوات . في راس ما يتعلق بهذه الطرق الرقابة النوعية للمعلومات الاولية ، ثبوتها ، موثوقيتها ، دقتها ، القياس الكمي لميزات الظواهر والتعبير (١٥) .

لنراقب بعض المسائل المتعلقة بخلق مصدر جديد للبحث التاريخي . يجري الاستفتاء بالاعتماد على استمارة او مقابلة . تحتوي المقابلة الموحدة والاستمارة الموحدة اسئلة مختلفة الطابع ، وهي تدعى عادة ما يسمى بأسئلة الحدث. ويمكن اخذ الاستمارة التي اعدها ماركس عام ١٨٨٠ مثلا

على ذلك (١٦). وهدف من خلال ذلك الحصول على معلومات حول ظروف العمل والحياة اليومية الخ . شملت هـــذه الاستمارة ١٠٠ سؤال موضوعة بشكل دقيق ومفصل . مضمون بعضها : كم عدد ايام العطل التي تحصل عليها خلال العام ؟ ما هو مقدار الساعات التي يعملها الاطفال والشبيبة دون السادسة عشرة ؟. ما هو الوقت الذي تضيعه يوميا بين ذهابك لمركز عملك وعودتك الى المنزل ؟ الخ ...

في طرحنا للاسئلة المثبتة للحوادث الفرديــــة ، يجب مراعاة درجة المعرفة عند المستفتى . لذلك يتطلب طــــرح السؤال عادة ، حتى وان لم يثر اية صعوبة ، مراعاة بعض الطرق التقنية .

تكمن مثل هذه الطريقة في وجوب فصل الافـــــراد العارفين عن قليلي المعرفة . عندما تسجل على سبيل المثال علاقة السائل بالنموذج القائد لاحد المعلمين ، تطرح عندها بعض الاسئلة التي تؤكد مدى معرفة المستفتى العامة بالطرق القيادية التي يستخدمها معلم الصنعة .

هناك طريقة اخرى لاثبات مصداقية المعلومات ، التي نحصل عليها من (اسئلة لها طابع الحدث) من خلال تركيب ما يسمى بأسئلة الاستدراج في الاستمارة . في تحليـــــل للقراء أجراه قسم الخيال العلمي لاتحاد الكتاب في الاتحاد السوفياتي ، لقيت مؤلفات وردت في قائمة التقييـــــم استحسانا من البعض ، دون ان يكـون لمؤلفيها وجودا .

فلا حاجة لنا للاستمارات التي تضمنت اية تقييمات

للمؤلفات التي لا وجود لها ، اذ ان الاجابات فيها تضع استقامة القارىء ومعرفته في تساؤل بوجه الاجمال والصعوبة الخاصة تتمثل في التقييمات التي تشمل آراء الناس ومواقفهم . أعدت في السوسيولوجيا قواعد دقيقة لمثل هذه المسائل . من المستحسن ان يحمل السؤال جديدا للمستفتى . على كل حال يجب تجنب اسئلة «لماذا» ، حيث من الضروري للاجابة عليها ، تقسيمها لعدد من الاسئلة الجزئية لفهم الآراء علينا اخذ الحالة بعين الاعتبار قبل اي شيء آخر . على سبيل المثال : «كيف كانت الظروف عندما اخترت مهنتك ؟» او «ما هي الظروف التي اصبحت من خلالها مشاركا في حركة العمل الشيوعي ؟» . وبطرح اسئلة هادفة يمكن فهم مناخ الراي الاجتماعي المسيطر على وسط المستفتى ، وصدق المعلومات يجب تمحيصه من خلال اسئلة للرقابة . هناك عناصر هامة في تقنية الاستفتاء ، فتبدو للوهلة الاولى انها ليست كذلك . ينطبق ذلك على نوعية السؤال ، حيث يجب ان يكون حياديا قدر المستطاع.

ويجب اختيار طرح السؤال ، بحيث لا يسبقه الجواب . والشكل الغير شخصي بالاجابات ، يوصلنا لافضل مصداقية تستخدم اسئلة اسقاطية لتقييم الآراء ، ذلك يعني ، اقتراح وضع ما ، يعبر المستفتى عن آرائه ضمن شروط هذا الوضع (على سبيل المثال : من غير النادر ان يتزوج اشخاص من قوميات مختلفة . فكيف ستتصرف عندما يقدم ابنك ، ابنتك ، اختك او اخوك على مثل هذا

الزواج ؟») . او ان تعطى امكانية اختيار سلوك معين .

ويبدو ان اسهل الاسئلة التي يمكن طرحها هي ما له طابع السيرة الذاتية . ترتدي عادة مثل هذه الاسئلة ذات البنية الاجتماعية (او الديمغرافية) ، كما تدعـى دائما و«المتعلقة بالحدث» اهمية خاصة لدى المؤرخ .

انها متضمنة ايضا في الاستمارات التي أعدها المؤرخون لتحليل «حركة العمل الشيوعي» ودراسة العلاقات بين القوميات . لقد تبين انه في طرح هذه الاسئلة يجب مراعاة عددا من العوامل . فعلى السؤال «كم هو عمرك ؟» اجاب البعض بكذا من السنين ، وآخرون ذكروا تاريخ ميلادهم واكتفى البعض في الاجابة ببساطة ، انهم متقاعدون . وعلى سؤال حول التعليم ، لم يندر ان تكون الاجابات كما يلي : «لم أكمل تعليم الصف العاشر» و«انهيت الصف» الخ .. انه من غير الممكن بتاتا ، تصنيف مثل هذه الاسئلة . لذلك يعتبر من الهام جدا في طرح الاسئلة الاساسية ، ان نقدم مجموعات يمكن ان يستخدمها الباحث فيما بعد . فكان على فئات العمر ، ان تترافق مع تلك التي أعدتها الادارة المركزية لاحصاء الدولة في الاتحاد السوفياتي ، وهي تخولنا مقارنة النتائج التي تم الحصول عليها بالمعطيات العامة لاحصاء الدولة . فالديمغرافيون الذين يحللون اسم العائلة الاساسي مثلا ، يعملون بفئات تشكلت بعد عمر القدرة على الانجاب .

الباحثون المهتمون بالشبيبة يفضلون فئات الناس

مفصلة في هذا العمر هكذا . من الهام التنبؤ بهذه الفترات لتشكل مجموعات العمر ، حتى يمكن توسيعها بمقارنتها في اي وقت بأبحاث او وقائع اخرى في النشرات الاحصائية السنوية .

من الواجب ان تكون المفاهيم المستخدمة بالاسئلة مفهومة وذات معنى وحيد . فلفهم نوعية نشاطات الافراد ، من الافضل الاعطاء المسبق لاسئلة مغلفة بفئات المهن والتأهيل. ومن غير المفيد استخدام المفهوم «عامل غير مؤهل» بالاستمارة . فمن الافضل ذكر العمل بالملموس .

واخيرا على المؤرخ الذي أعد استمارة ، ان يراعي تجارب السوسيولوجيين في تنسيق الاسئلة . فليس سيان على سبيل المثال اذا جاءت الاسئلة الشخصية في بداية ام في نهاية الاستمارة .

من الافضل في استفتاء المستمعين الذين ترسل اليهم الاستمارات ، ان توضع الاسئلة الشخصية في نهاية الاستفتاء ، لئلا يشوش المستفتى من خلال ضمان اغفال الاسم بالاستفتاء منذ البداية ، وتبعا لذلك الاسئلة الشخصية الملموسة. اما الباحثون المهتمون بسكان الارياف، يأخذون بعين الاعتبار ، فائدة وضع هذه الاسئلة في بداية الاستمارة ، حيث انه من الثابت نجاح هذه الطريقة ، من اجل انخراط المستفتى في عملية المقابلة بشكل اقوى ، كما تسمح بدء الحديث بأسئلة عادية واكثر حيادية . ان الاسئلة الاكثر تعقيدا والتي تثبت الحوادث ذات الطابع

الخاص او الآراء والمواقف للافراد ، يجب ان تجد وسط الاستمارة مكانا لها ، حيث المستفتى يصل لموقف من الاستفتاء ولم يتعب بعد من الاجابة . وتوضع في نهاية الأستمارة عادة اسئلة أقل اهمية ، تتطلب انتباها أقل في الاجابة . يعير السوسيولوجي اهتماما كبيرا لمنطقية مسار الاستفتاء .

تُعَد الاستمارة ، بحيث ينتج السؤال فيها عن الآخر ، كما توضع اسئلة المراقبة بشكل منفصل عن تلك التي يجب امتحانها . فليس علينا التنبؤ بتشعبات الاجابة على الاسئلة الصعبة فقط ، وانما بامكانيات الاجابة مثل «من الصعب ان أجيب» او «لا استطيع الاجابة» ولتسهيل الاستفتاء علينا اخذ طرق مختلفة في الحسبان ، تبعث للمستفتى رسالة قبل الإستمارة . من الهام ان تصاغ هذه الرسالة بشكل تثير لدى المستفتى فيما بعد الاهتمام والثقة. فمن اجل تسهيل الاستفتاء وجعله اكثر مرونة ، أعد السوسيولوجيون الاستوفيون رسومات وكاريكاتور ضمن الاستمارة .

لذلك على المؤرخ ان لا يعرف هذه الطريقة وحسب ، بل ان يمتحن الاستمارة باستفتاءات تجريبية ايضا، ليتمكن من استخدامها فيما بعد بالاستفتاءات الجماهيرية .

أجريت ابحاث موازنات موسعة لوقت الفراغ في الآونة الاخيرة . ليست هذه الابحاث سوسيولوجية نقية وانما يشارك الاحصاء فيها . وثبّت معناها بالابحاث

السوسيولوجية ـ العيانية .

تعتبر تقنية التحليل في دراسة مسائل وقت الفراغ معقدة ، ومن الضروري قبل كل شيء ان تكون هناك اعمال تمهيدية لبنية وقت الفراغ ، لتحديد العناصر (العوامل) التفصيلية لوقت الفراغ .

قام معهد الرأي الاجتماعي التابع الى «برافدا الشبيبة Komsmolska Prawda ، بتكوين مقولات شاملة لدراسة وقت الفراغ ، والتي تعكس الاشكال لمظاهر اوقات الفراغ . وهي :

١ ـ النشاط الفاعل ، الخلاق (على سبيل المثال النشاط الاجتماعي) .

٢ ـ الدراسة والتأهيل الذاتي .

٣ ـ الحاجات الثقافية (او الروحية) الفردية (مثل قراءة الجرائد ، الكتب ، سماع البث الاذاعي الخ) .

٤ ـ الحاجات الثقافية (او الروحية) (مثل زيارة السينما ، المسرح ، الحفلات الموسيقية ، الاحتفالات الرياضية الخ) .

٥ ـ النشاط الرياضي (مثل الرياضة ، السباحة ، التجوال الخ) .

٦ ـ النشاط المحبب (الهواية) .

٧ ـ مداعبة الاطفال .

٨ ـ زيارة ومقابلة الاصدقاء (في البيت ، في المقهى ، في المطعم الخ) .

٩ ــ الاستجمام السلبي .

١٠ ــ صرف الوقت لمظاهر غير ثقافية (مثل ادمان الكحول الخ) .

لدراسة توزيع اوقات الفراغ اعدت استمارة ، تتضمن حقائق المستفتين وشروط حياتهم . أعد الديوان المركزي للاحصاء منهجا ليشمل توزيع اوقات الفراغ اليومي . وطوّر معهد الاقتصاد وتنظيم الانتاج الصناعي لقسم سيبريا في أكاديمية العلوم بالاتحاد السوفياتي منهجا ، يحلل من خلاله توزيع الوقت اسبوعيا لنفس الاشخاص . يضمن هذا المنهج تمثيلا واسعا للنتائج .

ان الشكل الرئيسي المستخدم من غالبية الباحثين السوفيات في دراسة توزيع اوقات الفراغ هو الاستفتاء . ويتم ذلك من خلال اشخاص أعدوا خصيصا للمقابلات . ومن الممكن ايضا ان يملأ المستفتون الاستمارات . ان منهج التسجيل المستقل يتطلب مراقبة الباحث للمعطيات .

ان دراسة توزيع الوقت المعاصر ومقارنته مع الماضي يكتسب مغزى مستقبليا لدى المؤرخين . فعندما لا يستطيعون بأنفسهم ان يجروا طرق بحث واسعة وشاملة لمسائل اشكال اوقات الفراغ ، يمكنهم بالتعاون مع السوسيولوجيين ، جعل المقارنات التاريخية الموثوقة ممكنة بذلك .

الخاتمـــة

الحياة الاجتماعية متنوعة ، فكلما غصنا للتعرف على هذا التنوع عمقا واتساعا ، بدا اكثر فهمـــا ووضوحا . وتجـــري حاليا عملية تمايز للمعارف العلمية ولاندماجها المتزايد. وتفتني معرفتنا بالظواهر والعلاقات الاجتماعيةمع ظهور فرع علم جديد او استقلاليته ، وهذه لا تتحقـــق بدورها الا عندما يحدد العلم الجديد مجال بحثه ومنهجه المعرفي في البحث عن الواقع .

التاريخ علم يتعاطى مع كل جوانب الحياة الاجتماعية، وستعود عليه فائدة كبرى ، اذا تمكن السوسيولوجيون في مجالات مختلفة تحليل العلاقات والظواهر بشكل ملمـــوس وشامل . ويحتل توضيح حوادث وعمليات الماضي القريب مكانا بارزا في الترويج للمعارف التاريخية .

ان العلاقات المتبادلة بين علم التاريخ والسوسيولوجيا والسوسيوسيكولوجيا والاستفادة من معارف هذه العلوم تدفع حثيثا بامكانيات البحث التاريخي .

يكتسب المؤرخون معلومات اضافية دقيقة نتيجة الابحاث السوسيولوجية ، فيعمقون استنتاجيتهم ويوسعونها حول الواقع الاجتماعي ليتمكنوا من بناء المجتمع الشيوعي بشكل افضل .

ان في نشاط لينين مثل غني للكيفية التي يتم بها استخدام المعرفة الصحيحة والعيانية في حل المهام الاساسية الراهنة .

جاء في موضوعات اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي حول الذكرى المئوية لميلاد ف. إ. لينين: «لقد ربط لينين اعداد النظرية والسياسة العلمية بشكل لا ينفصم بدراسة وتعميم التجارب النضالية للجماهير . بحث بتجارب الملايين ليجد الجواب على أهم مسائل الحركة العمالية . وفي الوقت الذي كان فيه لينين لا يضاهي بامتلاكه لاستراتيجية وتكتيك صراع البروليتاريا الطبقي ، ارتبط بشكل وثيق بالشغيلة ، حيث انطلق من مصالحهم الاساسية ، وشعر دوما بنبض حياة الشعب ، ودرس بعناية السيكولوجيا الاجتماعية للعمال والفلاحين ولكل فئات الشعب ، متخذا كل ذلك في الحسبان عند القرارات السياسية» .

هناك اسباب عديدة لاهتمام المؤرخين في الاستفادة

الواسعة من الاحصاءات الاجتماعية ، كذلك تساهم السوسيولوجيا الماركسية في رفع المستوى النظري والمعنى الاجتماعي لمؤلفات العلوم الاجتماعية . فالنتائج المنشورة للتحليلات السوسيولوجية ــ العيانية تشكل من حيث حجمها ادبيات هامة ، تحتوي على تحليلات لعلاقات اقتصادية معقدة ، ولعلاقات مهنية ، قومية ، طبقية وعائلية وكذلك للعلاقات المتبادلة بين الطبقات والجماعات الاجتماعية وآلية عمل الحياة الاجتماعية .

لقد شكلت سيكولوجية الطبقات والجماعات الاجتماعية اكثر من غيرها صعوبات دائمة لكثير من الباحثين كونهم لا زالوا قليلي الالمام بمواضيع البحث المعقدة في معرفتها وفي مناهج البحث فيها . وهكذا تصبح الادبيات السوسيولوجية عنصرا ضروريا في كتابة التاريخ . ان توظيف المعارف السوسيولوجية في الدراسة التاريخية للمجتمع السوفياتي تغني وتوسع امكانيات التحليل التاريخي للبنية الاجتماعية والسوسيولوجية للطبقات والفئات الاجتماعية . ولا تنحصر اهمية مواد الابحاث السوسيولوجية العيانية في كتابة التاريخ فقط ، وانما في تحليل المصدر ايضا ، وتؤخذ الوثائق الصادرة عن الابحاث السوسيولوجية كقاعدة مرجعا للمؤرخين . ويمكن للمؤرخ ان يعيد درسها عندئذ من اجل مهامه واهدافه او يستفيد منها بالشكل الذي جمعها به علماء الاجتماع . ويمكنه ايضا استخدام مناهج الابحاث السوسيولوجية العيانية ، وهذا لا ينطبق على شكل وطريقة

جمع المواد فقط ، بل يتعدى ذلك للاستفادة من الطـــرق الحسابية في تحليل المصادر الاكبر حجما ، والتي وجدت لتوها مدخلا ذا مصداقية في ابحاث العلوم الاجتماعية .

ان ذلك لا ينطبق على مؤرخي المجتمع السوفياتي ، بل يشمل كل الذين يتعاطون مع الماضي السحيق . ويتسع مجال بحث المؤرخ عندما يستخدم الطرق الحسابية والتي بدورها تحدد مناهج علم التاريخ اكثر .

ان العلاقة المتبادلة بين السوسيولوجيا والتاريخ تعود بالفائدة على السوسيولوجيا ايضا .

ان اخذ المفاهيم التاريخية في البحث السوسيولوجي بعين الاعتبار تسمح بالكشف عن التبعية الوراثية للعمليات وبالادراك الاشمل للعلاقات السببية لكثير من الظواهر .

يولي السوسيولوجي عنايته دوما لما تجمع لديه مـــن تجارب في موضوع البحث قبل ان يقوم ببحثه التجريبي الخاص . على الباحث ان يحل المسألة بالتحليل النظري ، ويكشف عن العلاقة بين معارف الماضي والحقائق الجديدة وأن يقوم بتوضيحها ايضا . ويقع بذلك على علماء الاجتماع تقرير مدى انسجام الحقائق الجديدة ، باعتبارها تأطـــير لنظام المفاهيم والمعارف الموروثة أم انها تفترض بناء مذهب جديد ، وهو يحتاج هنا ايضا المنهج التاريخي ثانية .

وهكذا يعتبر المنهج التاريخي منهج معرفة اساسيـــة للسوسيولوجيين ، عندما يبحثون بالعمليات الاجتماعية على مدى فترة إطول . وتجري الابحاث التجريبية عادة والتي

تشمل فترة زمنية أطول بالاعتماد على ما يسمى بمنهج Paneld «بانل» . يتعاطى السوسيولوجيون مع المصادر التاريخية التقليدية اثناء جمعه للمواد من اجل تحليل هذه المسألة او تلك ، فيدرس الوثائق المتنوعة للمنظمات الحكومية والاجتماعية ووثائق المعامل وسوفيتات المناطق الريفية .. الخ .. ، ويعدها من ثم طبقا لاهدافه . تسهل تجارب المؤرخين ـ التي جمعوها من تحليلهم للمراجع وتفسيرهم للمراجع ـ التحليل السوسيولوجي وتغنيه .

وعندما نقف جديا مع توثيق العلاقة اكثر بين التاريخ والسوسيولوجيا ، لا يفهم ان يؤدي ذلك الى تبادل العلماء، الذي بدوره سيلحقه الاذى لا محالة في المتطلبات المهنية الاساسية والمتعلقة بالامكانيات والمعارف الخاصة ، هذه المتطلبات التي تعتبر ضرورية ليس لابحاث العلوم الاجتماعية وانما السوسيولوجية ايضا .

تبعا لذلك يجري الحديث عن تقسيم العمل بين العلمين ، ليوجها جهودهما فيما بعد في البحث المعقد للعمليات الاجتماعية . وتبقى معرفة ميزات كل علم ، ومعرفة مواضيعه ومناهج وطرق عمله اساسا لاي عمل مشترك فعال . ويعتبر اسلوب وطرق المعرفة والمنهج ، اللغة الاصيلة لكل علم . وللفهم المتبادل نرى من الضروري أن يعرف ممثل علم قريب من العلوم الاجتماعية ذلك ، اذ يتمثل بذلك الشرط الجوهري اللازم من اجل عمل مشترك مثمر في العلوم الاجتماعية .

مراجع الكتاب

Einführung

1 **A. M. Rumjanzew/ G. W. Ossipow,** Die marxistische Soziologie und die konkrete Sozialforschung. In: Sowjetwissenschaft. Gesellschaftswissenschaftliche Beiträge, 11/1968, S. 1114.

2 Ebenda, S. 1115.

3 Ebenda, S. 1116 f.

4 Siehe auch: **Г. В. Осипов** u. a., Конкретные социологические исследования в СССР. In: Философские науки, 5/1962, S. 26.

5 Über Aufgaben und Möglichkeiten dieses Wissenschaftsgebiets siehe auch: **Известия Сибирского отделения АН СССР,** Folge 3. Серия общественных наук, 11/1967.

6 **Социология в СССР,** Bd. 1, Moskau 1966, S. 38.

7 **W. I. Lenin,** Was sind die „Volksfreunde" und wie kämpfen sie gegen die Sozialdemokraten? In: Werke, Bd. 1, Berlin 1965, S. 131.

8 Siehe: **Советская этнография,** 3/1969.

9 Siehe: **История СССР,** 4/1968.

10 **А. Г. Здравомыслов,** Методология и процедура социологических исследований, Moskau 1967, S. 35.

11 Siehe: **Осипов,** В. И. Ленин и развитие марксистской социологии. In: Ленин и социология. Информационный бюллетень (Научный совет по проблемам конкретных социальных исследований ...), Nr. 42, Folge 1, Moskau 1970, S. 25.

12 **О. О. Яхот,** Социологические исследования и некоторые теоретические вопросы статистики. In: Вопросы философии, 5/1963.

13 Siehe auch: **Ленин и социология.** Информационный бюллетень ..., Nr. 42, Folge 1, S. 18—19.

14 Siehe: **Советская этнография,** 3/1969, S. 11.

15 Diese Tatsache kommt unter anderem darin zum Ausdruck, daß in der „Литературная газета" oft soziologische Forschungsergebnisse veröffentlicht werden, die von 85% der Abonnenten der Zeitung gelesen werden. (**В. Шляпентох,** Социология для всех, Moskau 1970, S. 47.)

16 Siehe: **Маркс и социология,** Moskau 1968; **Ленин и социология.** Информационный бюллетень ..., Nr. 42, Folge 1; **Г. М. Андреева,** О соотношении микро- и макросоциологии. In: Вопросы философии, 7/1970; u. a.

Kapitel I

1 Siehe auch: **О. И. Шкаратан**, Методологические аспекты изучения истории советского рабочего класса. In: Вопросы истории, 4/1966.
2 **Lenin**, Karl Marx. In: Werke, Bd. 21, Berlin 1972, S. 46.
3 **Derselbe**, Die Methoden des Kampfes der bürgerlichen Intellektuellen gegen die Arbeiter. In: Werke, Bd. 20, Berlin 1971, S. 484.
4 Siehe: **Derselbe**, Materialien zur Frage des Kampfes innerhalb der sozialdemokratischen Dumafraktion. In: Werke, Bd. 19, Berlin 1962, S. 451—469; **derselbe**, Ein Vortrag über die Revolution von 1905. In: Werke, Bd. 23, Berlin 1960, S. 284.
5 Siehe auch: **Ф. Г. Кротов** u. a., Рабочий класс — ведущая сила строительства коммунизма, Moskau 1965; **Л. Бляхман** u. a., Текучесть рабочей силы на промышленных предприятиях, Moskau 1968; **Der Mensch und seine Arbeit**, Berlin 1971; **Шкаратан**, Социальная структура советского рабочего класса. In: Вопросы философии, 1/1967.
6 Siehe auch: **Шкаратан**, Социальная структура советского рабочего класса, a. a. O., S. 28.
7 Siehe: **Der Mensch und seine Arbeit**, S. 359—366.
8 Siehe: **Lenin**, Werke, Bd. 2, Berlin 1963, S. 105; Bd. 16, Berlin 1962, S. 337; Bd. 17, Berlin 1963, S. 219; Bd. 28, Berlin 1972, S. 378; Bd. 29, Berlin 1965, S. 59, 379 f.; Bd. 30, Berlin 1972, S. 264, 505, 506, 511 u. a.
9 **Der Mensch und seine Arbeit**, S. 68.
10 Ebenda, S. 264—265.
11 Siehe auch: Ebenda, S. 305—306.
12 Siehe: **Подъем культурно-технического уровня советского рабочего класса**, Moskau 1961; **Б. Грушин/В. Чикин**, Исповедь поколения, Moskau 1962.
13 Die durchschnittliche Arbeitstätigkeit der Mitglieder der erforschten „Brigaden und Aktivisten der kommunistischen Arbeit" betrug 18,3 Jahre und die jener Arbeiter, die nicht am Wettbewerb teilnehmen, 14,1 Jahre. (**Бляхман** u. a., Подбор и расстановка кадров на предприятии, Moskau 1968.)
14 Es ist das Vorhandensein oder Fehlen von administrativen Strafen zu beachten, die in den Betriebsdokumenten fixiert sind. Außer den individuellen Angaben der Arbeiter auf besonderen Karten (Pässen) enthalten sie auch eine Einschätzung des Meisters. Der Meister beurteilt die Arbeitsdisziplin nach einer Skala: diszipliniert, verletzt die Arbeitsdisziplin, undiszipliniert. (Siehe: **Der Mensch und seine Arbeit**, S. 78—79.)
15 Kriterien dafür sind z. B. die Erfüllung der Arbeitsnorm und die Qualität der Arbeit. (Siehe: **Der Mensch und seine Arbeit**, S. 78—79.)
16 **Бляхман** u. a., Движение рабочей силы на промышленных предприятиях, Moskau 1965.
17 Siehe: **А. И. Вдовин**, Изменение социальной психологии рабочего класса в реконструктивный период (по мемуарам рабочих), Moskau 1970 (дипломная работа, выполненная на кафедре истории СССР советского периода исторического факультета МГУ).
18 Siehe: **Рабочий класс и технический прогресс**, Moskau 1965; **М. Г. Иовчук**, Социальное значение подъема культурно-технического уровня рабочих. In: Социология в СССР, Bd. II, Moskau 1965; u. a.

19 Siehe auch: **Т. И. Заславская,** Некоторые методологические проблемы моделирования рабочей силы села. In: Социологические исследования. Вопросы методологии и методики, Nowosibirsk 1966; **Распознавание образов в социальных исследованиях,** Nowosibirsk 1968.

20 Siehe auch: **В. Б. Островский,** Колхозное строительство СССР, Saratow 1967; **Строительство коммунизма и социальные изменения в крестьянстве Белоруссии,** Minsk 1966; **Социально-экономические преобразования в воронежской деревне (1917 до 1967),** Woronesh 1967; **Опыт историко-социологического изучения села Молдино,** Moskau 1968; u. a.

21 Siehe auch: **Строительство коммунизма и социальные изменения в крестьянстве Белоруссии; Социально-экономические преобразования в воронежской деревне (1917—1967);** u. a.

22 Das von **J. W. Arutjunjan** ausgearbeitete Programm wurde bei der Analyse der Dörfer im Melitopolsker Rayon des Krasnodarsker Gebietes, im Kalinin- und Moskauer Gebiet, in der Tatarischen und der Tschuwaschischen ASSR angewendet.

23 Siehe: **Копанка 25 лет спустя,** Moskau 1965, S. 135.

24 Siehe: **Колхоз — школа коммунизма для крестьянства,** Moskau 1965, S. 178, 196, 308, 315.

25 Siehe auch: **Ю. В. Арутюнян,** Социальная структура сельского населения. In: Вопросы философии, 5/1966; **derselbe,** Опыт социологического изучения села, Moskau 1968.

26 Siehe: **Распознавание образов в социальных исследованиях** S. 53.

27 Siehe auch: **Т. И. Заславская,** Распределение в колхозах по труду In: Социальные проблемы трудовых ресурсов села, Nowosibirs 1968; **В. Г. Венжер,** Колхозный строй на современном этап Moskau 1966; **Арутюнян,** Опыт социологического изучения сел. S. 47—60; u. a.

28 Siehe: **Арутюнян,** Механизаторы сельского хозяйства СССР в 1929 до 1957 гг., Moskau 1960.

29 Siehe auch: **В. Сорокин,** Формирование сельско-хозяйственной интеллигенции в СССР, und **К. И. Мамаева,** Социальная природа и общественная роль сельской интеллигенции. In: Социологическое изучение села: социальная структура, труд, управление, Moskau 1968.

30 Siehe auch: **Арутюнян,** Опыт социологического изучения села; **derselbe,** Опыт социально-этнического исследования. In: Советская этнография, 4/1968; Социальные проблемы трудовых ресурсов села. Unter der Redaktion von **Т. И. Заславская,** Nowosibirsk 1969.

31 Siehe auch: **Т. И. Заславская/Е. В. Виноградова,** Опыт математико-статистического исследования закономерности движения рабочей силы села. In: Социальные проблемы трудовых ресурсов села; **В. И. Переведенцев,** Миграция населения и трудовые проблемы Сибири, Nowosibirsk 1966.

32 Siehe: **Заславская,** Методологические основы программы исследования производственно-профессиональной мобильности сельского населения. In: Доклады к Всесоюзному симпозиуму по социологическим проблемам села, Nowosibirsk 1968, S. 32.

33 Unter Wertorientierungen versteht man in der soziologischen Literatur die Beziehung der Menschen zu den Werten der materiellen und geistigen Welt.

34 Siehe auch: **И. Долгова,** Проблемы духовного развития колхозников. In: Социологическое изучение села: культура, быт, расселение; **Социально-экономические преобразования в воронежской деревне (1917—1967).**

35 Siehe auch: **Социально-экономические преобразования в воронежской деревне (1917—1967),** S. 319; **В. Котов,** К вопросу о структуре духовных интересов сельской молодежи. In: Социологическое изучение села: культура, быт, расселение.

36 Siehe: **Коллектив колхозников.** Социально-психологические исследования, Moskau 1970.

37 Siehe: **А. В. Хмара,** Влияние объективных и субъективных факторов на формирование чувства хозяина у тружеников села. In: Социологическое изучение села: культура, быт, расселение, S. 119, 120, 121.

38 Siehe: **Экономика культуры и быта колхозного крестьянства,** Saratow 1966, S. 69—82.

39 Siehe: **Колхоз — школа коммунизма для крестьянства,** S. 191, 128—266, u. a.

40 Siehe: **В. В. Островский,** Колхозное крестьянство СССР; **Копанка 25 лет спустя; Опыт историко-социологического изучения села Молдино.**

41 Siehe: **Социально-экономические преобразования в воронежской деревне (1917—1967),** S. 286; **Арутюнян,** Социальные аспекты культурного роста сельского населения. In: Вопросы философии, 9/1968; **Опыт историко-социологического изучения села Молдино,** S. 364, u. a.

42 Siehe: **В. Г. Байкова** u. a., Свободное время и всестороннее развитие личности, Moskau 1965.

43 Siehe auch: **Вопросы формирования научно-атеистических взглядов,** Moskau 1964; **Социально-экономические преобразования в воронежской деревне,** S. 302—307.

44 Siehe auch: **Опыт историко-социологического изучения села Молдино,** S. 326—336; **Строительство коммунизма и социальные изменения в крестьянстве Белоруссии,** S. 143—148.

45 In: **Социологическое изучение села: культура, быт, расселение.**

46 Siehe: **Г. А. Пруденский,** Время и труд, Moskau 1964; **Б. А. Грушин,** Свободное время, Moskau 1967; **Об основных итогах изучения бюджета времени жителей г. Пскова,** Nowosibirsk 1968.

47 **Грушин,** Свободное время, S. 80—82. — Was die Landbevölkerung betrifft, so waren die Forschungen zu ihren kulturellen Gewohnheiten zwar lokal, aber alle Ergebnisse zeugen davon, daß das Hören von Rundfunksendungen und das Lesen von Zeitungen zu einer Gewohnheit für die Mehrheit der Menschen nicht nur in den Kreisen der landwirtschaftlichen Intelligenz wurde, sondern auch für die Mechanisatoren und Feldbauarbeiter (siehe: **Социологическое изучение села: культура, быт, расселение).**

48 **Karl Marx,** Einleitung zur Kritik der Politischen Ökonomie. In: Marx/Engels, Werke, Bd. 13, Berlin 1964, S. 624.

49 **Б. Т. Колпаков/Г. А. Пруденский,** Опыт изучения внерабочего времени трудящихся; **Г. В. Осипов/С. Ф. Фролов,** Внерабочее время и его использование. In: Социология в СССР, Bd. II, Moskau 1966; **Грушин,** Свободное время, S. 74—79; u. a.

50 А. Л. Вахенетса/ С. Н. Плотников, Человек и искусство, Moskau 1968.
51 Грушин, Свободное время, S. 81—82.
52 In: Подъем культурно-технического уровня советского рабочего класса.
53 Siehe: Советский читатель, Moskau 1968; С. Т. Гурьянов, Духовные интересы советского рабочего. In: Социология в СССР, Bd. II; Читатель и газета. Информационный бюллетень, 35/1970.
54 Diese Gesetzmäßigkeit tritt ganz offensichtlich zutage in dem Buch: Рабочий класс и технический прогресс, Moskau 1965, S. 206, 211 ff.
55 Арутюнян, Социальные аспекты культурного роста сельского населения, a. a. O. — Über die Beziehung der Dorfbewohner zur Arbeit ist ein interessanter Artikel von N. M. Bilkow (In: Вестник МГУ, Серия философии, 4/1967) veröffentlicht worden.
56 Siehe auch: Классы, социальные слои и группы в СССР, Moskau 1968, S. 167.
57 In: Социология в СССР, Bd. I, S. 399.
58 Siehe auch: Классы, социальные слои и группы в СССР, S. 169.
59 Siehe auch: Арутюнян, Опыт социологического изучения села, S. 40.
60 Siehe: M. H. Руткевич, Изменения социальной структуры советского общества, Moskau 1966; derselbe, Социальные источники пополнения советской интеллигенции. In: Вопросы философии, 7/1967; Классы, социальные слои и группы в СССР, Abschn. 3.
61 Д. Л. Константиновский/В. Н. Шубкин, Личные планы и их реализация. In: Вопросы философии, 7/1970, S. 42.
62 Diese Schlußfolgerung folgt aus den Untersuchungen in der Tatarischen ASSR, die von J. W. Arutjunjan und O. I. Schkaratan durchgeführt worden sind.
63 Л. М. Дробижева, О сближении уровней культурного развития союзных республик. In: История СССР, 3/1969, S. 77.
64 Der Autor nahm an den soziologischen Forschungen in der Tatarischen ASSR teil.
65 А. И. Холмогоров, Интернациональные черты советских наций, Moskau 1970.
66 Siehe: H. H. Гибогло, О влиянии расселения на языковые процессы. In: Советская этнография, 5/1969.
67 Die Forschungen in den mittelasiatischen Republiken sind vom Aspiranten G. E. Trapesnikow (Institut für Geschichte der UdSSR an der Akademie der Wissenschaften der UdSSR) durchgeführt worden.
68 Siehe: Дробижева, О социальной однородности республик и развитии национальных отношений в СССР. In: История СССР, 1/1967; dieselbe, О применении конкретно-социологических исследований для изучения национальных отношений в СССР. In: Актуальные проблемы истории национально-государственного строительства, Duschanbe 1970.

Kapitel II

1 Näheres dazu siehe: А. Г. Здравомыслов, Методология и процедура социологических исследований, Moskau 1969, S. 94—108, und

Walter Friedrich, Methoden der marxistisch-leninistischen Sozialforschung, Berlin 1971. (Ergänzung dt. Red.)

2 **Здравомыслов**, Методология и процедура социологических исследований, S. 100.

3 Tabellen von Zufallszahlen sind in jeder größeren statistischen Arbeit enthalten.

4 **Б. А. Грушин**, Мнение о мире и мир мнений, Moskau 1967, S. 372.

5 Dieser Teil des Fragebogens, der die biographischen Angaben registriert, wird von den Soziologen oft auch als Ausweis bezeichnet.

6 Die experimentellen Analysen wurden von **W. S. Kondratjew**, Mitarbeiter der Abteilung für konkret-soziologische Forschungen am Institut für Ethnographie der Akademie der Wissenschaften der UdSSR, durchgeführt. Siehe: **Советская этнография**, 1/1970.

7 Siehe auch: **К. М. Шуваев**, Старая и новая деревня (Материалы исследования села Новоживотинова и деревни Моховатки, Березовского района, Воронежской обл., за 1901—1907, 1926 и 1937 гг.), Moskau 1937; **А. Е. Арина** u. a., Социально-экономические изменения в деревне (Мелитопольский район 1885—1938 гг.), Moskau 1939.

8 Siehe auch: **Село Вирятино в прошлом и настоящем**, Moskau 1958; **А. Тодорский/Ю. Арбатов**, Большое в малом. In: Коммунист, 4, 5/1960; **Опыт историко-социологического изучения села Молдино.**

9 Buletinue Institutie de cerictari sociale al Romanin Reguonale Chisinău, Bd. II, 1938, Chisinău 1939.

10 Siehe: **В. Н. Шубкин**, Опыт сравнительного социологического исследования молдавской деревни. In: Социология в СССР, Bd. II, S. 313—314.

11 **Арутюнян**, Опыт социологического изучения села.

12 **Арина** u. a., Социально-экономические изменения в деревне.

13 **Арутюнян**, Опыт социологического изучения села, S. 46—47.

14 **Lenin**, An den Leiter der Statistischen Zentralverwaltung. In: Werke Bd. 33, Berlin 1963, S. 10—12.

15 **Арутюнян**, Опыт социологического изучения села, S. 53.

16 Ebenda, S. 54—57.

17 Ebenda, S. 60—61.

18 In: **История СССР**, 4/1970.

19 Ebenda, S. 3—17.

20 Ebenda, S. 4.

21 **Здравомыслов**, Методология и процедура социологических исследований, S. 49.

22 Das ist nicht zufällig, denn **W. A. Ustinow** ist Mathematiker, Spezialist für die Anwendung der EDV in soziologischen und historischen Forschungen.

23 **История СССР**, 4/1970, S. 11.

24 Aus der Fachliteratur und Presse ist bekannt, daß das Verbleiben der Jugend in den Kolchosen eine der aktuellsten Fragen ist. (Siehe: Пленум Центрального Комитета КПСС 24—26 марта 1965 года. Стенографический отчет, Moskau 1965, S. 111.)

25 **История СССР**, 4/1970, S. 11.

26 **Der Mensch und seine Arbeit**, S. 150.

Kapitel III

1 **Lenin**, Statistik und Soziologie. In: Werke, Bd. 23, S. 285.
2 Ebenda, S. 286.
3 **Quantitative Methoden in der Soziologie**, Berlin 1970, S. 34.
4 **П. Лафарг**, Воспоминания о Марксе, Moskau 1959, S. 6.
5 **Lenin**, Entwürfe zu Verordnungen und Richtlinien über die Genossenschaften. In: Werke, Bd. 30, S. 298.
6 **Народное хозяйство СССР в 1959 г.**, Moskau 1960, S. 8, 59; **Народное хозяйство СССР в 1965 г.**, Moskau 1966, S. 9, 561.
7 Dieses Verfahren ist bei der Erforschung der Ursachen der Fluktuation in der Leningrader Industrie angewandt worden, wo 11 000 Arbeiter befragt wurden, die den Arbeitsplatz im Verlaufe von 15 Monaten wechselten.
8 **Здравомыслов**, Методология и процедура социологических исследований, S. 173.
9 Siehe: **Философские науки, 2/1966.**
10 Siehe: **Симпозиум по количественным методам социологии советской социологической ассоциации**, Suchumi 1966.
11 Über die Inhaltsanalyse als Prozedur der quantitativen Analyse von Dokumenten vermittelt die Arbeit von **В. А. Ядов**, Методология и процедуры социологических исследований, Tartu 1968, S. 171—181, eine gute Übersicht.
12 Gegenwärtig (1970 in der Sowjetunion — dt. Red.) arbeiten erst etwas mehr als 10 Mathematiker mit den Historikern, Soziologen und Juristen zusammen.
13 Siehe auch: **47 пятниц.** Информационный бюллетень, 25/1969, u. a.
14 **Е. Э. Бейлина**, Рабочий класс и новые формы соревнования (1959 до 1965 гг.), Moskau 1970; **Е. Э. Бейлина/В. С. Лельчук**, Рабочий класс и новые формы соревнования. In: Из истории рабочего класса СССР, Moskau 1968.
15 Siehe: **Ядов**, Методология и процедуры социологических исследований, S. 51.
16 **Marx**, Fragebogen für Arbeiter. In: Marx/Engels, Werke, Bd. 19, Berlin 1962, S. 230—237.
17 Ebenda, S. 232, 233.

Schluß

1 **Zum 100. Geburtstag W. I. Lenins.** Thesen des ZK der KPdSU Berlin 1970, S. 4 (Hervorhebungen vom Autor).

الفهـرس

دار الحداثة
للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
لبنان. بيروت ص.ب ١٤/٥٦٣٦